

T H E D E M O N

ن
ت
نشر
والنور

عمرو المنوفي



العفريت

رواية

عمرو المنوفي

الحانوتي 2

العفريت

رواية

للنشر
والتوزيع

”فإن أسباب الوفاة كثيرةٌ
من بينها: وجع الحياة.“

كزهر اللوز أو أبعد: للشاعر محمود درويش

- لننعمش الذاكرة -

مرحبا بكم.

أنا عمكم يزيد الحانوتي، وهذا هو لقاءنا الثاني، والذي أتمنى أن يكون لقاء ممتعا، أو مرضيا لكم في أسوأ الأحوال، فأقل من هذا وسيتملكني الإحباط، وستنطفئ جذوة حماستي لأقص عليكم المزيد من مغامراتي الشنيعة والمثيرة، عبر عوالم الكون المختلفة.

من قرأ سر الحانوتي يعرفني جيداً، ويعرف الأهوال التي مررت بها في لقائنا السابق، تحديداً في تلك الفترة الحرجة، بين مراهقتي، وبداية شبابي.

إنه ذلك الوقت الذهبي الذي لا يمكن تكراره قط، والذي كنت فيه ممتعا بقسط كبير من صحتي وحماستي، وجزء أكبر من جهلي ونزقي.

وأنا على يقين تام، بأن من قرأه قد استمتع به كثيراً، وبات يعرف كيف انتهت مغامرتي السابقة، ولأين قادتني تلك المغامرة، التي انتهت بي إلى عبور ثغرة مضطربة بين العوالم.

تلك الثغرة اللعينة التي أجبرتني على مغادرة عالمي على غير رغبتني، وتوقعي، وانتهت بي إلى التجسد في عالم غريب ..

مخيف..

أجهل عنه كل شيء، أو ما ينتظرنى به؛ وذلك بعد الموت - غير المؤكد - لتهاني
الغجرية.. أم الجماجم .

تلك الساحرة العجوز الخبيثة، التي كانت تمارس نوعا معقدا ومحرمًا من
السحر الأسود، وبسببه بدأ كل هذا الهول.

وذلك كله من أجل تحقيق أمنية مستحيلة؛ نتج عنها استحضار مخلوق دموي
رهيب قادم مما وراء العالم..

والذي هاجمها بضراوة، ومزق أطرافها، لينتهي كل أثر لها مع اختفائه، واحتراق
منزلها.

أما الكارثة الكبرى التي نتجت عن اختفائها/موتها فهي: تقوض سحرها القوي
النادر.

والذي أدى بدوره إلى كارثة أكبر، وهي: حدوث اضطراب هائل في تلك الشجرة
الشيطانية التي قامت بفتحها في النسيج الكوني مستخدمة أحد أعقد أنواع السحر
الأسود وأحقرها.

مما حول الشجرة إلى بوابة جهنمية بين العوالم، فتحت أبواب الجحيم على
قريتي وعلى عالمي، وعلى عوالم عديدة مأهولة بالمخلوقات؛ سواء الوحشية أو
المتحضرة، عبر مسارات كونية استثنائية، مهددة بفنائها.

من قرأ سر الحانوتي يعرف أيضا تفاصيل كثيرة عن (نواره) .

تلك المخلوقة الغامضة، القادمة من عالم آخر لا أعرف عنه الكثير، إلا أن نساءه
ساحرات، فائنات، وشديدات الرقة، ويخطفن القلوب دون استئذان أو تردد..
وأنهن برغم لمسة السذاجة الروحية التي تغلفهن، قد يكن خطرات كأفاعي رقطاع،
مفعمة بالسم والدهاء.

وأفضل مثال على ذلك: هي نواره نفسها التي سرقت قلبي، كما تسرق الحلوى أعين الأطفال.

ونواره التي لها قلب زهرة، وغموض قبر مغلق منذ ملايين السنين، تمتلك أيضا قدرات بطلة خارقة قادمة مما وراء النجوم.

قدرات لم يمتلكها أحد في عالمي قبلها، وربما لن يمتلكها أحد بعدها، كالقدرة على التخاطر، والنفوذ عبر الجدران والحواجز المادية، وقراءة عقول الموتى، واستخلاص ذكرياتهم وخبراتهم ومعارفهم، فيما يشبه النكرومانيسي الفضائي.

وبعد مغامرتي السابقة معها، أدركت أن لديها القدرة على العبور بين العوالم، عن طريق خلق دذبذبة تتسبب في اضطراب حواجز الزمكان، باستخدام السحر الذي كانت تتقنه بطريقة كنت أجهلها في حينها.

وإن كانت حتى هذه اللحظة لا تستطيع التحكم في دفتها، ولا تملك طريقة محددة لتحديد المكان الذي تذهب إليه، أو الزمان الذي تتواجد خلاله، وبالتالي فنحن طوال الوقت في مهب ريح القدر والمجهول.

وبرغم كل سلبيات الأمر، ولكنها على كل حال قدرة خارقة، يمكن تطويرها ذات يوم والتحكم فيها.

وبيني وبين نفسي أدرك أنها سلاح خطير للغاية، وأن نواره كارثة تنتظر فقط الوقوع.

عاصرت مع نواره أهوالا لا تحصى في مغامرتي السابقة، والتي كادت أن تفنيها فيها بكتريا فضائية غامضة، حولتها من هيئتها الطيفية التي عرفت بها منذ البداية، إلى مسخ شديد البشاعة والخطورة.

وهي نفس البكتيريا الملعونة التي أنقذتنا معا عندما ظننا أنها النهاية.

من قرأ سر الحانوتي سيعرف أيضًا أن نواره مازالت على قيد الحياة، وأنها شفيت من إصابتها بشكل كامل ومبهر.

كما أنها لم تعد بهيئتها البشعة السابقة، التي تثير النفور والتقزز في النفس، بل بهيئة جديدة طازجة، وبشرة صافية تميل إلى الزرقة، جعلتها أقرب للهوريات، أو مخلوقات الأفتار ببشرتها الفيروزية.

لا بل هي إلى الحوريات أقرب..

لأنها بمقاييس الجمال البشري أجمل بكثير من أن تكون أفتار ملامحه الحادة العنيفة، وأذنيه الطويلتين، وقسمات وجهه الغريبة.

إنها الجمال، والرقّة، واللفف، والغموض، القادمين مما وراء النجوم..

الساحرة التي تمرح في تلك المنطقة الرمادية الواقعة بين الواقع والهلاوس، والتي تعبث بقلبي، بكل توتر من يحاول تفكيك قنبلة شديدة الانفجار، يقترب عدها التنازلي من الصفر.

من قرأ سر الحانوتي سيعرف كذلك، أن مغامرتي السابقة مع نواره، لم تنته نهاية جيدة على أي حال.

فأمام كل هذا الشر الذي واجهنا، وبرغم قدرات نواره الفريدة، غير الأرضية، لم يكن لنا اليد العليا في نهاية الأمر..

فقد قاتلت أنا ونواره بكل قوتنا من أجل حياتنا، وأنقذنا عالمي جزئيًا!!

إلا أننا لم نترك خلفنا وسيلة حقيقية تمكن قاطنيه، من مواجهة كل هذا الشر الخارج إليه من أعماق الشجرة.

وذلك لسبب بسيط أننا لم نكن نملكها، ولم نكن نبحث عنها من الأساس في خضم صراعنا للنجاة بأرواحنا..

هذا لو كان لها وجود حقيقي!!

فالقائمة الطويلة التي وضعها العلماء، والتي تحتوي على توقعاتهم لنهاية العالم، لأسباب كثيرة: منها الاحتباس الحراري، والتلوث، والحرب النووية، والنيك القادم من الفضاء، وتفشي وباء لا علاج له، وعاصفة شمسية قاتلة، لم تكن تحتوي على فتح ثغرة عن طريق السحر، يتدفق عبرها أسوأ مخلوقات الكون.

والآن على كل قاطني كوكبي أن يواجهوا المجهول من دوننا ..

ربما هي آخر أيام الأرض ..

أرضي أنا..

وربما لا ..

ولكن الشيء المتوقع، والذي لا فرار منه..

أن تغزوا كائنات هذه الثغرة كل مكان في عالمي الذي تركته خلفي، دون هواده، وأن يتحرر الشر الكبير، الذي أجهل عنه كل شيء، وتم تحذيرنا منه.

ولمن لم يصطدم بالمعلومة القادمة بعد، أخبره أن الشر ينتصر دائما في النهاية في عالم الواقع..

وهذا ليس جيدا للبؤساء الغافلين عن طبيعة هذا الخطر، ولا لأسرتي التي تركتها هناك.

وعلينا نحن أيضا أن نواجهه هنا، في تلك الأرض الجديدة التي ألقينا فيها الثغرة الملعونة، بعد صراعنا مع الفزاعة والمخلوق الذي لا جلد له.

كنت سأطلق على هذا الكتاب عنوان (الأرض الثانية) وهو عنوان مناسب جدا للمكان الذي تواجدنا فيه.

ولكن ما واجهناه هنا فرض العنوان الجديد..

(العفريت).

عدو جديد ..

وأرض معادية لا تعرف إلا الشر ..

إنها رحلة جديدة ..

مثيرة لمن يقرأ ..

شنيعة لمن يعاصرها ..

ولكنها في كل الأحوال جزءا من قصتي ..

جزء من سر الحانوتي الكبير ..

معكم يزيد الحانوتي، في أرض جديدة، بصحبة فتاة من عالم آخر، زرقاء اللون،

تمتلك قدرات خاصة ..

ولم يكن هذا عزاءً جيدا في تلك الأرض الملعونة ..

لنقرأ الآن.

التهمني الوحش ولم يهضمني.
وخرجت سالماً أكثر من مرة!
كانت روحي التي طارت شعاعاً.
مني ومن بطن الوحش.
تسكن جسد آخر أخف وأقوي.
لكني لا أعرف..
أين أنا الآن؟!

أبعد من التماهي: للشاعر محمود درويش

عالم بشع جديد

- "اختبئ يا يزيد".

صرخت بها نواره، فانتفضت في مكاني، وتحفزت كل عضلة في جسدي، وتحركت بسرعة برغم إصابتي ودمائي النازفة، وتواريت بمساعدتها خلف الجدار الإسمنتي المصقول الذي تتوارى بجسدها الدقيق خلفه.

وكنمت بصعوبة صرخة ألم كادت أن تغادر حلقي، بعد أن قبضت نواره على ذراعي بقوة شديدة ألمتني لتقربني من موقعها أكثر؛ وذلك عندما شق الخوار الوحشي الهمجي الهواء الثقيل من حولنا، فتردد صداه أسفل تلك القبة الحيوية العازلة، التي تحيط بنا، كإحاطة السوار بالمعصم.

تلك القبة اللعينة التي حصرت تحركاتنا داخلها، فأصبحنا بداخل سجن عملاق لا يتجاوز قطره كيلومترين، لا مخرج منه ولا مهرب.

والأدهى أنها عزلتنا عن العالم الخارجي الذي تجسدنا فيه، فصرنا كالشاة التي تنتظر دورها في الذبح.

وكان هذا محطما للأعصاب!

لأنه يعني أن قتالنا، وركضنا المستمر لا جدوى منه!

لأننا في النهاية ندور في حلقات مفرغة لا تقود إلا لفخ مميت، سينتهي لا

محالة بين أنياب ذلك المسخ العملاق الشبيه بالحرباء، الذي لم يتوقف لحظة عن مطاردتنا بعد أن ألقانا حظنا العسر في طريقه.

حاولت أن أطمئن نواره، رغم ما أشعر به من ضعف، وتشوش في الرؤية، نتيجة ذلك السم العضوي الذي حقنني به ذلك المسخ، ولكن عاد الخوار الرهيب هذه المرة أعلى وأقرب، ليفسد محاولتي.

لذا عادت نواره وقبضت على يدي بقوة مضاعفة وكأنها تبحث عن الأمان بقربي، مما جعلني أزوم من الألم، وقد توترت عضلات ساقي المصابة بشدة، فهمست لنواره قائلاً:

- "اهدئي يا نواره سيكون كل شيء على ما يرام.. وخففي من ضغط قبضتك على ذراعي، لا تنسي فارق القوة البدنية بيننا".

خففت نواره قبضتها عن ذراعي على الفور، وإن لم تتركها، وهي تقول:

- "آسفة يا يزيد.. لم أقصد أن".

وهنا قاطعها صوت الخوار الذي صار أكثر قوة وإفزاعاً، فابتلعت لسانها، ولم تكمل جملتها، وشعرت أنا بالعجز أكثر، وصدى الصوت يوحى بأن الخوار يقترب من موقعنا أكثر..

وتمنيت ساعتها لو كنت أصماً، فلا أسمع ذلك الصوت الكريه المفزع، الذي يهددنا بمواجهة دموية جديدة، ومعاناة حتمية، لسنا مستعدين أو قادرين على خوضها بحالتنا هذه.

الخوار يزداد قرباً.. أتحرك بعصبية فيؤلمني جسدي.. تتوتر نواره أكثر، وهي تلتصق بي، وقد ظهر على وجهها الإرهاق والتعب، لتقول بصوت طفولي منزعج، وهي تتأمل جسدي النازف في هلع وعجز كاملين:

- "إننا لم نلتقط أنفاسنا بعد.. إننا نركض منذ ساعة كاملة، وأنت أيها المسكين مصاب بشدة، وتنزف كصنبور حديقة، ولن تستطع الصمود أكثر مع ما فقدته من دماء".

لم يكن عندي القدرة أو الطاقة لأرد عليها، أو على تشبيهاتها الساذجة، فأخذت أجز على أسناني من الألم، وأنا أمسح المكان ببصري الواهن من زاوية ضيقة لا تكشف موقعي؛ محاولا تحديد مكان انبعاث ذلك الخوار المفزع؛ مهينًا نفسي لمواجهة عاصفة لن تنتهي على خير بأي حال من الأحوال.

المكان على مدى البصر خال، وبرغم الخوار المتصاعد، لم يظهر أثر بعد للحرباء المشوهة التي تطاردنا..

وهو شيء جيد مؤقتا..

وإن كان لا ينفي خطره أو قربهِ.

إن الخوار في حد ذاته، إعلان للموت الوشيك، لا يمكن تجاهله أو التقليل من شأنه.

إننا في موقف لا نحسد عليه، فأنا أحتضر ولا أريد أن أظهر هذا..

أحاول إخفاء ضعفي عن نواره، فأفشل فشلا ذريعاً..

أنا لست بقوتها البدنية، كما أن عقلي أمامها ككتاب مفتوح تقرأه بكل بساطة. أشم رائحة الموت تتسرب إلى أنفي..

والحقيقة أن من هو في مثل حالتي، لو خضع لفحص طبي عاجل، لن يتورع الأطباء عن وضعه في غرفة العناية المركزة، مع التشديد على المتابعة المستمرة.. ولكنه عناد الرجال خاصة عندما تتواجد نساؤهم في دائرة الخطر، فيتصرفون بكل حماقة.

وهذا العناد هو الذي جعلني أحاول الوقوف على قدمي، متجاهلا عواء عضلاتي التي تكاد تتمزق من المجهود الذي بذلته خلال الساعة الماضية، وعلى مدار هذا اليوم الكئيب.

ولأنه ليس كل ما يتمناه المرء يدركه، خذلتني قدماي، فعدت بمساعدة نواراة لأسند ظهري إلى الجدار الإسمنتي المصقول دون أن أقوى على الحركة، أو العناد. أبذل مجهودا مضنيا لأبذل من جلستي متجنباً أن تلتقي عيني بعين نواراة.. لا أرغب في المزيد من الشفقة أو الطاقة السلبية..

نواراة المتجهممة تتفهم ما أمر به، فتبدأ في تمزيق قميصي وصنع ضمادات بدائية لا أعتقد أنها ناجحة.

وعندما هممت بتوجيهها إلى كيفية ربط الضمادة وعقدها، خطفت عيني صاعقة من البرق الدموي، سطعت للحظات متخللة جدران القبة العازلة النابضة التي غربت عنها الشمس، والتي كانت تخفي بضياؤها القوي المريح بعض وحشة المكان..

برغم دقة الموقف كان المشهد فاتنا ومثيرا للرغبة في نفس الوقت، فنسيت كل شيء عن الضمادات وجروحي ودمائي النازفة، وطفقت أرمق تلك العروق الدموية المتألقة التي ظهرت في جدران القبة، ومخاوف مبهممة تتسرب إلى روحي..

كانت تلك العروق الدموية تظهر لعيني كشرايين عملاقة متوهجة تكاد تنفجر من كثرة ما يضخ بها من دماء، مما جعل عقلي غير المستوعب، يشطح في دوامة عميقة من التساؤلات الغريبة، والمربية، وغير المنطقية، فاستدرت مواجهها نواراة متسائلا:

- "أي جحيم ألقنا إليه تلك الثغرة الشيطانية اللعينة؟".

نواره لا تجيب، وتتابع ما يحدث بقلق، ولا تفارق عينيها القبة التي أصابها الجنون، فاستطردت متسائلا:

- "هل نحن على سطح كوكب جديد، أم بداخل معدة كائن حي عملاق، وموتنا قادم؛ عندما تبدأ أنزيمات معدته في هضمنا؟" ..

عينا نواره تتابعان تلك التغيرات العنيفة، التي تجتاح جدران القبة الثائرة، التي صارت لوحة من الجنون الكهربائي الدموي العاصف، ثم تسرح ببصرها للحظة، قبل أن تقول بصوت يموج بخوف الدنيا كلها:

- "يا إلهي.. إنها تشبه إلى حد كبير جدران بطن وحش الموركا.. إنه كائن مخيف وغير محبب في عالمي.. ولا يقتل فريسته، إلا بعد أن يعبث بها، ويدمرها على المستويين النفسي، والبدني".

كان وصفا شنيعا، وموفقا، لم تكن بحاجة إليه في مثل هذا التوقيت الحرج، مع قلة حيلتنا وجهلنا بما يدور حولنا..

وتمنيت ساعتها ألا يكون ظنها صحيحا، وأنه لم يتم التهامنا من قبل ذلك المخلوق الوحشي المجهول، فقلت في يأس:

- "حتى عالمك يا نواره، يحتوي على وحوش سادية ودموية وقاتلة، أي هول آخر يختبئ لنا؟؟".

تشبثت بيدي، وهي تقول:

- "إن عالمي يا يزيد جحيم.. جحيم لا قبل لأحد به إلا مخلوقاته".

هزرت رأسي في يأس وقلت:

- "جحيم أكثر مما نراه هنا؟".

هزت رأسها بالإيجاب دون أن تنطق بكلمة، فعدت أنا أتابع تلك العروق

الدموية البارقة، التي تحولت الآن إلى شبكة عملاقة متوهجة تلتهم مساحة القبة دون هواده، في حين أخذت جدران القبة تنبض في قوة، وكأنها في حالة مخاض.

كانت القبة في هذه اللحظة تشبه إلى حد كبير، معدة كائن حي عملاق تحترق من الداخل.. ترى ماذا كان إحساس يونس في بطن الحوت؟

لو كان نفس الإحساس الذي يغتال أرواحنا الآن، فلن تنقذنا إلا معجزة من الخالق العظيم، لأننا لن نتحمل كل هذا الضغط النفسي المروع.

الأرض تهتز تحت أقدامنا، في سابقة هي الأولى من نوعها..

الهلع يرتسم على وجه نورة..

لأبد وأن الانهيار قادم ..

القبة تنبض في قوة..

ومن وسط جحيم الأصوات والأضواء، دوى صوت الخوار المشئوم..

شوش الخوار هذه المرة، على صوت القبة النابض، الذي كان يدوي بصوت

أعلى وأعمق، كدوي مدافع عملاقة هادرة.

في حين أخذت العروق الدموية التي تتوهج كعشرات الشموس الصغيرة،

وتشبع الهواء من حولنا بكهرباء إستاتيكية عالية، جعلت شعر جسدي كله

ينتصب، وعمقت بداخلي إحساسا مرعبا، بأنها النهاية ..

تشققات هائلة تضرب كل مكان..

القبة تنتفض في عنف، وكأنها على وشك التمزق والانهيار.

- "اللعنة.. أي هول جديد قادم؟".

أصرخ بها في جزع، وأنا أتأمل القبة في ذهول وخوف، فكل تحول يصيبها، وكل

نبض صارخ كهذا، وكل ثورة في جدرانها اللحمية غير المريحة، يعني لنا كارثة قادمة،
أو مسخا دمويا يتأهب للعبور..

الوضع يتعقد، ولابد وأن المسخ القادم، والذي يحاول النفاذ عبر الثغرة، لا
مثيل لحجمه أو قوته، ليسبب كل هذه الاضطرابات العاصفة.

وهذا دفعني لأفكر أنه لابد لنا من العثور على وسيلة للفرار من ذلك السجن
المحكم، أو على الأقل مأوى نتقي فيه هجمة ذلك الوحش القادم، وقبلها ذلك
المسخ الضاري الذي لم يتوقف لحظة عن الخوار.

لم أكن أراه في هذه اللحظة، ولكن ملامحه الحيوانية المشوهة، التي هي خليط
من اللحم والمعدن انحفرت في عقلي إلى الأبد.

وقنيت بأعماقي لو تفتت حماسته قليلا، حتى نحظى بقسط من الراحة، أو
يرحل إلى الأبد فيمنحنا بعض الوقت لندرس موقفنا اليائس في هذا المكان المريع،
المشبع بطاقة سلبية هائلة تضغط على أرواحنا.

وكان من الواضح أنه لا يأبه بأمنياتنا أو إرهابنا، وأنه سيظل يطاردنا، حتى
يفتك بنا.

أتلفت حولي في يأس..

لا شيء يوحى بالأمل في هذا المكان الملعون.

لا مخرج.. ولا مهرب.. ولا مأوى.

المكان من حولنا عجيب، وكأنه لوحة سريالية لسلفادور دالي..

فالقبة العازلة اللعينة، تظهر لعيني وكأنها مصنوعة من كتلة هائلة من اللحم
النابض، وتحتها تتراس العشرات من المباني الإسمنتية المصمتة، التي لا تظهر براعة
أو احترافية في البناء.. تتخللها أعمدة معدنية مرتفعة، زرعت على قممها خلايا

شمسية نابضة، تشع بالضياء والحرارة، والتي لولاها لصرنا نتخبط في الظلام بعد غياب الشمس الفتية التي عجلت بشفاء نواره وأعادت لها طبيعتها الحقيقية.

وبالطبع لا نعرف من صنع كل هذه الأشياء؟!

ولا لماذا هذا التباين والاختلاف الشديدين، بين جدران القبة شبه الحية، والمباني والأعمدة المعدنية الجامدة؟!

إن المكان كله أشبه بفخ كبير..

وكل قوانين الاحتمالات، تخبرنا أن نهايتنا وشيكة، وأن لعنتنا مازالت تطاردنا، وأنا مهما هربنا، فهي مسألة وقت لا أكثر قبل أن نلقى مصيرنا المحتوم.

لا أعلم هل تستحق حياتنا، كل هذا المجهود الذي نبذله، وهل سنحتفظ في النهاية بكياننا قطعة واحدة، أم ستمزقنا تلك المسوخ التي تنجبها الثغرة دون هوادة؟

لمحت نواره وهي تغمض عينيها بقوة، وتحاول التواصل عقليا، مع أي كائن حي أسفل القبة، بخلاف ذلك المسخ الضاري، الذي عجزت عن التواصل معه منذ بدأ في مطاردتنا، طلبا للمساعدة أو الفهم.

ومن تقلص ملامحها أدركت أنها مُنيت بفشل جديد.

إن قدرتها المتفوقة على التواصل العقلي والتخاطر، لا تعمل جيدا على مخلوقات هذا المكان، وكأن شيئا مجهولا يعوقها أو يمنعها التواصل، على الرغم من نجاحها في التخاطر معي منذ وطأت أقدامنا هذا المكان الملعون، ودون جهد يذكر.

أشحت بوجهي عنها، وأنا أقبض على ذراعي المصابة بعصبية، ثم سحبت قدمي الدامية التي برز طرفها النازف، لتتوارى خلف تلك البناية الإسمنتية المرتفعة التي نحتمي خلف أحد جدرانها المصمتة المصقولة، لتصطبغ الأرض بدمائي.

كنت أحاول أن أتجنب أي مواجهة قريبة مع هذا الحرباء الدموي، فأنا في أسوأ حالاتي بالفعل..

ولذلك عندما لمحت نواره تهم بمغادرة مكانها في رعونة تمتاز بها، دفعتها في غلظة غير معتادة مني، لتراجع هي الأخرى خلف الجدار، وأنا أصبح بها بصوت مكتوم:

- "لأين تذهبن أيتها الحمقاء؟".

رمقتني في دهشة واستنكار، وهي تقول بصوت مصدوم:

- "حمقاء؟.. إنك عاجز عن الحركة.. فكنت سأستطلع المكان.. إنني لست حمقاء يا يزيد.. أنا.. أنا..".

اغرورقت عيناها الدموع فقطعت حديثها، وأنا أنظر نحوها في ذهول، فاستطردت قائلة:

- "إنني خائفة عليك يا يزيد.. إن مؤشرات الحياة تنخفض لديك.. ولا يمكن أن نظل مختبئين إلى الأبد".

شعرت أنني ظلمتها، ولكنه لم يكن وقت مثل هذه المشاعر المتطرفة، لذا فإنني قلت:

- "أنا أدرك مدى قلقك وخوفك وإرهاقك يا حبيبتي، ولكن هذا ليس مبررا لنتصرف بروعنة ودون تنسيق، وإلا رصد مخبأنا ذلك المسخ الدموي القاتل الذي يتربص بنا".

هزت رأسها، وهي ترفع أنفها في ضيق كالأطفال وقالت:

- "لا يمكن أن أتركك تذهب يا يزيد.. لا يمكن".

أجز على أسناني، وأتحامل على قدمي المصابة، مستخدماً الجدار الإسمنتي كنقطة ارتكاز، وأنا أرمق نواره في ضيق:

- "ليس هذا وقت هذه الانفعالات يا نواره.. دعينا نركز على المصيبة التي أمامنا".

تعود إلى مكانها وتجلس صامتة، بعد أن أعتمت وعلها وقطعت الاتصال العقلي بيننا كنوع من الاحتجاج أو الغضب الطفولي، برغم دقة الموقف الذي نمر به..

وجعلني هذا أكثر حرية، لأتأمل وأطلق العنان لأفكاري دون قيود.. الموقف شديد التعقيد بحق..

عقلي عاجز عن التفكير، وكل خلية في جسدي تنبض بالألم.

أرمق ذلك المسخ الغاضب من تلك الزاوية الضيقة التي لا تكشف موضعي، فيخفق قلبي في صدري بعنف، وأنا أتأمل هيئته المخيفة، وتحفزه القاتل، وهو يرمي برأسه للخلف، ويطلق عواءً طويلاً جمّد الدماء في عروقي.

إنني لن أحتمل إصابة جديدة، كما أنني لن أتحمل أن أرى مخالِب هذا المسخ الرهيب، وهي تمزق جسد نواره، وتسيل دماؤها، كما حدث معي.

إنني مستعد للموت قبلها، وهذا كان حالي خلال المطاردة الدموية البشعة، التي دارت رحاها منذ وقت قريب..

فقد كنت بالنسبة لنواره، برغم ضعف بنيّتي عن بنيّتها، وعدم امتلاكي لأي قدرات خارقة، الدرع الذي حماها وذاد عنها أمام هجماته الغادرة، ومخالِب الحادة. لا أعرف إن كان ما قمت به من أجل نواره، هو شجاعة أم حماقة مني، أم هو تهوّر العشاق، الذي يفضي بهم دائماً إلى القبور!!؟

ولكني فعلته دون تردد، وبكامل إرادتي، وسأظل أفعله، وأكرره، حتى آخر
نفس يتردد في صدري.

فبرغم المواقف المروعة التي مر بها، إلا أن أقدارنا تشابكت، وطرقنا صارت
طريقا واحدا.

فإن كنت قد فقدت عالمي، فقد صارت هي كل عالمي.

لقد واجهنا الكثير خلال الساعة الماضية التي طاردنا فيها ذلك المسخ الرهيب،
وتلقيت - برضاء تام - معظم الضربات المسمومة التي ظننت أن المسخ يوجهها
لنؤارة، وتقبلت أن يتمزق جسدي، عوضا عن جسدها، كي لا أراها وهي تتألم، أو
تنزف، أو في أسوأ الظروف تموت.

لذا تجدونني الآن في حالة يرثى لها!

واهن..

متألم -

غارق في دمائي..

وبائس بشكل لا يمكن تصوره..

يتملكني إحساس عارم باليأس، ولا يفصلني عن الموت إلا خوفي من فراق
نؤارة، وفزعني من أن أتركها وحدها لتواجه كل هذا الهول.

ولنفس الأسباب السابقة، تجاهلت خوار المسخ الوحشي الذي رج المكان للمرة
الألف، وأسندت ظهري للجدار الصلب طلبا للراحة، قبل المواجهة الدموية التالية.

ولأنني شخص نحس..

زادت ثورة القبة العازلة - لابد وأنها ستتمخض عن مسخ لعين آخر في وقت
قريب - وعاد الخوار المتحشرج ليهز المكان مجدداً.

وآليا كدت أن أتجاهله، عندما رصد عقلي طبيعة الخوار، فانتفضت في قوة،
وأنا أرهف سمعي، لأؤكد مما سمعت.

فقد جاء الخوار هذه المرة مختلفا بحق..

فقد كان الخوار الوحشي متحشرجا، ممتزجا بعواءٍ متألٍمٍ.. نائحٍ!!

وكان هذا المسخ يعاني ويتألٍم لسبب مجهول.

وهذا دفعني لأجازف، وأطل برأسي من خلف الجدار الإسمنتي المصقول،
لأتابع التطور الجديد الذي يمر به المسخ.

فوجدت المسخ على حالته لم يغير موقعه.. فقط كان يزوم في عصبية وعنف،
ومن منخاريه تتصاعد سحب الأدخنة الكثيفة، وما زالت حوافره نصف المعدنية
تنهب الأرض، وتحدث تلك الشرارات النارية نتيجة احتكاكها العنيف بها.

وهذا جعلني أفكر في دعر، أن وقوفه في هذا المكان، وبهذا الشكل، يعني أنه
يرصد موقعنا بطريقة ما!!

لا أعرف إن كان يمتلك حاسة شم قوية، أم يتبع غريزته فقط، أم أنه يمتلك
وسائل تتبع أخرى نجهل عنها نحن كل شيء.

ومهما كانت الإجابة أو الوسيلة التي يتتبعها معنا، فإنني متأكد من أعمق
أعماقي أنه يعرف أين نختبئ، والشيء الذي يثير ذعري أكثر أن أله الذي أجهل
سببه، سيكون حافزا أكبر له كي يفتك بنا.

وبالتالي، لا شيء يفصلني عن الموت، إلا أن يقرر هذا الوغد لحظة النهاية،
وبعدها سيأتي دور نواره، التي لا أتخيل أن تكون في يوم من الأيام فريسة للموت،
أو أن تكون نهايتها بين أنياب كائن شديد القبح، كذلك المسخ المشوه الذي يتألٍم
ويرج خواره المكان.

هممت أن ألتفت لأحدث إلى نواره، لنقرر الخطوة التالية، عندما عصفت بكياني موجة عاتية من الألم المفاجئ، فانتفض جسدي بقوة، وأنا أكتم صرخة هائلة كادت أن تخرج من بين شفتي، لتهتك سترنا، وتفضح وهننا، وربما قادت ذلك المسخ إلى التسرع في الفتك بنا.

سقطت على الأرض أئن وأتلوي، من فداحة ما يحدث لجسدي.

وبلا تفكير جثت نواره على الأرض بجواري، ودون مجهود يذكر منها، قلبت جسدي الثقيل المرتعش، وعدلت من وضعه وهي تفحصني في لهفة، ثم ضمتني إلى صدرها في حنان، وقد ظهر الهلع في عيناها، فتركت جسدي بين يديها، متصورا أنها نهايتي، عندما لاحظت أن جروحي العديدة، قد توقفت عن النزف، وبدأت تلتئم لسبب أجهله، وإن كان الألم الناتج عن العملية نفسها يكاد يزهق روحي.. أجز على أسناني لأكتم ألمي، فتضمني نواره أكثر وأكثر، ويصفع أذني الخوار المتألم من جديد، وصوت نواره القلق يخترق أذني قائلا:

- "تحمل يا صغيري لبعض الوقت.. إن جراحك تشفى، ونزيفك قد توقف.. وأنا بجوارك، ولن أتركك مهما حدث".

تحاول أن تمنع دمعة كادت أن تفر منها ثم تكمل:

- "ثم إنني لا أعتقد أن هذا المسخ الدموي ينوي مهاجمتنا الآن، إن هناك شيء ما يجعله يتألم، ربما هناك قوة مجهولة تعمل لصالحنا في هذا المكان الكريه، وتعمل على كبحه، وربما هي التي عجلت بشفائك".

لم أرغب في احباطها، وقطع خيوط الأمل التي تتعلق بها، ولكنني منذ وصلت إلى هذا العالم، والأمور تتجه من سيئ إلى أسوأ، وكل شيء فيه يخبرنا أن هذا العالم، هو الخيار الأسوأ من نواره من بين كل عوالم الكون.

وبرغم ذلك، قبضت على يدها في حنان، وضغطت على أصابعها الرقيقة برفق،
فاستكانت للمستتي، وقلت:

- ”رهما يا نواره - رهما.. لا شيء مستبعد في هذا المكان الملعون“.

موجة ثانية من الألم تضربني في عنف، جعلت قبضتي تتقلص على يد نواره،
التي أجبرتني على الاسترخاء، وهي تقول:

- ”عليك أن تستريح قليلا، إنك منذ وعيت على هذا العالم، وأنت تبذل مجهودا
مضنيا، كما أنك فقدت كمية كبيرة من الدماء“.

لم أستطع الرد عليها، ولدقائق أخذت أكافح لأتخطى موجة الألم الصاعق التي
تجتاحني بلا رحمة.

وعندما أصبح الألم مستقرا ويمكن تحمله، نهضت على الفور، وسط بحيرة
العرق والدماء التي أغرقت وجهي وجسدي، وتخلّيت عن مخبني بتهور كنت
أمنع نواره من ممارسته منذ دقائق، ووقفت أواجه ذلك المسخ الذي كان يزوم
دون توقف، وقد تركت حوافره في الأرض الإسمنتية المصقولة، علامات عشوائية
شوّهت منظرها.

إنها مواجهة غير متكافئة، وكان من الحماقة أن أتعجلها، فالإرهاق يعصف
بكياني، وجروحي تصعقني من الألم.

معدتي تتقلص، فأحنني بجذعي إلى أسفل، وصدري يعلو ويهبط في قوة،
مستندا بكفي على ركبتي، محاولا التقاط أنفاسي.

المسخ أمامي لا يفعل أي شيء.. فما الذي يمنعه عني؟!

لقد طاردني هذا اللعين دون هوادة، حتى أُنِي في المطاردة الأخيرة قد قطعت ما

يقرب من ثلاثة كيلومترات عدوا دون توقف، كادت رئتاي فيهما أن تتمزقا.. والآن لا شيء، غير الخوار، والعواء، والألم، وسحب الدخان التي لا تنقطع من منخاريه. وهذا جعلني أتشجع أكثر فلا أعود لمخبئي، رغم اعتراض نواره وتحذيرها، لأقف دون خوف متأملا ذلك المسخ الرهيب.

كان يقف بوجهه الشبيه بالحرباء، وبجسده العملاق، عشوائي التكوين، المكون من خليط عجيب من اللحم والمعدن، على مسافة ليست بعيدة عني، مشرعا مخالبه، كاشفا عن أنياب حادة تشبه أنياب أسماك القرش، يخور ويزوم، ويتألم.. وهذا هو الجزء الذي منحني الأمل والشجاعة..

ومن أعماقي تمنيت لو أنه يوجد في هذا العالم شيء قادر بالفعل على قهره أو على الأقل السيطرة عليه.

فالمواجهة بيننا لن تكون متكافئة أبداً، بل هي مواجهة دموية محسومة من قبل أن تبدأ، وضحيته معروفة مسبقاً، وستلقى الهزيمة الساحقة من اللحظات الأولى.

ضحية بشرية لا حول لها ولا قوة، كان كل تعاملها مع الموتى، وصار عالمها يغص بالوحوش والمسوخ الآن.

أخذت أرمق بعين مجهدة ذلك المسخ العملاق الذي كان يرمقني بشهوة وحشية حيوانية، بتلك العين المطفأة في منتصف جبهته، والتي جعلته أشبه بالمسيخ الدجال كما ذكر في كتب الأثر، وهو ينفث من منخاريه الدخان الكثيف كتنين غاضب.

ومن أعماقي شعرت بمزيج مزعج، من الدهشة، والخوف، والرغبة.

كتلة من الشر والبشاعة لا يمكن وصفها..

يهز رأسه المستدق، الذي يشبه رأس حرباء مطموسة بطريقة مستفزة،
فيتمايل معها جسده الحرشوفي المشوه الذي امتلأ بنتوءات معدنية عشوائية
عجيبة، جعلته أشبه بعظاءة سوداء هائلة الحجم، تقف على قدميها الخلفيتين،
خرجت من حرب ضروس؛ بكم هائل من الإصابات والشظايا المعدنية غريبة
الشكل.

جززت على أسناني في غل، وأنا أركز بصري على عينه المطموسة التي لا أدري
كيف يستعملها أو يرى بها، متجاهلا أضواء القبة العازلة الجنوبية، وأنا أزوم
صارخا:

- ”لماذا لا تتحرك أيها الوغد، هل تمارس معنا نوعا من الحرب النفسية؟! هل
أنت كائن ذكي عاقل، أم أنك مجرد مسخ مشوه يلهو بضحيته، قبل أن يلتهمها
بوحشية؟!“.

عقلي عاجز عن استيعاب، كل هذه البشاعة المتجسدة أمامي، وهذا جعلني
أتساءل بيني وبين نفسي:
من أي جحيم أتى؟

ولماذا يطاردنا بمثل هذه الوحشية وهذا الإصرار؟!

أتحسس جروحي التي بدأت تلتئم بوتيرة أسرع، وعقلي يكاد يحترق من
التفكير، ومن ألم الشفاء السريع.

أتجاهل الألم فتسطع الفكرة في عقلي المنهك، ومن شدة بساطتها ومباشرتها،
تتسع عيناى في دهشة، وأنا أردد في ذهول، جعل نواردة تنسى المسخ المتحفز الذي
يرمقنا في وحشية، وتنظر نحوي في تساؤل وأنا أقول:

- ”يا إلهي.. إنه التفسير المنطقي الوحيد يا نواردة، إنهم ليسوا مسوخ هذا
العام.. لقد أتى هذا المسخ المقيت من الثغرة العكسية.. الأمر لم يكن بحاجة

لتفسير من الأساس، فقد أتى من حيث أتينا.. إن الثغرة لم تفتح في عالمي وعالمك وحدهما، بل فتحت في هذا العالم أيضا..

وتلك الثغرة الملعونة، مازالت حبلى بالمسوخ، وفي كل دقيقة تمر علينا هنا، فالخطر يتضاعف، ونسبة نجاتنا تتجه إلى الصفر..“

تأملتني نواره في دهشة، وقد ظهرت على وجهها ملامح الضيق، وهي ترمق المسخ الضاري الذي بدأ يتحرك حركة عصبية، وتقول في حنق:

- ”أهذا وقت البحث عن موطن هذه المسوخ أيها الطفل الغرير.. إنه وقت الهرب.. هذا المسخ يستعد لالتهامنا“.

تجاهلت حديثها اللائم، وإهانتها لي، وأنا أفحص المكان من حولي في لهفة، بحثا عن مكان الثغرة دون جدوى.

وإن كنت لا أعرف ماذا سأفعل بها، لو عثرت عليها، وقدرات نواره منعدمة في هذا المكان..

كنت أحاول أن أتخلص من يد نواره التي كانت تجذبني لنبتعد، عندما زام الوحش، وخرج من منخاريه عمودان كثيفان من الدخان، وصلت برغم المسافة رائحتهما الكبريتية الكريهة إلى أنوفنا، فجذبتني نواره من يدي لأبدأ الركض معها، ولكنني قلمت منها بسرعة، وتخلت عن يدها، وعدت أواجه المسخ العملاق، الذي وقف في مكانه متصلبا، دون أن يحاول مهاجمتي أو مهاجمتها برغم حركته العصبية.

لم يتحرك المسخ من مكانه، وعندما هممت بالتحرك نحوه، شعرت وكأن هناك قبلة شديدة الانفجار قد انفجرت بأعماقي، ووجدت كياني كله يرتج، واجتاحت جسدي المرتجف، موجة عنيفة من الاهتزاز والتشوش، وكأنه سينهار، فتشبثت بشدة بيد نواره، التي كانت تتألمني في هلع ممتزج بالدهشة قبل أن تقول في قلق:

- "يزيد.. ماذا أصابك؟".

ولم تكمل نواره جملتها، لأن جسدها نفسه قد دخل في نفس الحالة العنيفة التي يمر بها جسدي، وبدأت تهتز في عنف وتصرخ، وصدرها يتحرك في إيقاع سريع.

ومع عجزني عن مساعدتها أو مساعدة نفسي، شعرت بأن قلبي يكاد يتوقف، من فرط ضغطي عليه، وسقطت على الأرض، وأنا أعاني بشدة لالتقاط أنفاسي، وأفكر في ذلك المسخ المروع، الذي لا بد وأنه يستعد للفتك بنا، بعد أن أصبحنا لقمة سائغة بين يديه.

ولفترة طويلة لم أستطع إحصائها، ظل جسدي على الأرض الإسمنتية يهتز ويرتجف، وكل خلية فيه تسحق، في حين أخذ ظلام دامس ثقيل شرير يحيط بعقلي، ويتخلل روحي، وكل خلية في كياني.

ظلام له وقع.

وملمس.

وشخصية.

ظلام مخيف متجسد..

ينبض بالشر، والشراسة، والبدائية..

ولا أعرف إن كان الأمر من هلاوس نقص الأكسجين أم الإرهاق، ولكنني رأيت

في قلب هذا الظلام المرعب.. عينين ..

عينان شيطانيتان مشتعلتان، ترمقاني في كراهية، ووحشية..

كما سمعت النداء الرهيب، يتردد في رأسي بصوت كريح بارد مقتحم، يحثني

على الاستسلام..

لا أعرف لأي شيء أستسلم..

ولا من أين نبت هذا الظلام المروع الذي يبدو حيا بشكل مقيت!

وبرغم إغراء النداء..

والهلع الذي يسببه لي الظلام..

ولكنني قاومت بكل ما بقي في جسدي من قوة..

كانت تجربة نفسية مروعة، لم أدر سبب حدوثها، ولا من يقوم بها، ولا متى

ستنتهي؟

وعندما أوشكت على الاستسلام، دوت في المكان نبضة كهربية عنيفة زلزلت

كياني، وأوقفت سيطرة الظلام، وأرخت قبضته الغاشمة عن روحي، وتبعها ضوء

بارق أحال كل شيء لنهار، ليتبدد الظلام تماما، ويهدأ كل شيء، وتتوقف صرخات

نوارة، لأنتفض واقفا، مندفعاً نحو جسدها الملقى على الأرض الصلبة بلا حراك.

كانت المرة الأولى التي يملكني فيها مثل هذا الفزع على نوارة، والمرة

الوحيدة التي أجرؤ فيها على فحص جسدها بمثل هذه الجرأة، والمرة الوحيدة التي

يملكني فيها هذا الشعور الهائل بالعجز والخذلان، بعد أن عجزت عن العثور على

أي مؤشر على كونها على قيد الحياة.

قمت بمحاولات عديدة لإنعاشها صناعيا، بالضغط على صدرها الذي لم أكن

أعلم إن كان يحتوي على قلب أم لا.

وكانت القُبلة الوحيدة التي منحتها لها، هي قبلة الحياة، التي لم تشعر بها،

ولم تُعِدْ لها تنفسها.

لقد ذهبت نوارة..

ذهبت وتركتني وحيدا في هذا العالم الموحش، الذي أجهل عنه كل شيء..

ذهبت المخلوقة الوحيدة التي أحببتها من أعماق قلبي، وتقبلتها ككائن طيفي، وكمسخ، وكحورية زرقاء.

ذهبت وعلي أن ألحق بها إلى العالم الآخر.

ولدقائق مضت كأعوام كاملة، لم أرفع بصري عنها، وفي كل لحظة ثمضي، ومع عدم استجابتها لمحاولاتي لإنعاشها، تسربت بداخلي مشاعر سلبية هائلة، ورغبة عاتية في عدم التواجد في هذا العالم؛ الذي غادرته هي بشكل مفاجئ، وغير مفهوم، أو متوقع.

ومع الإنهاك الذي غزا كل خلية في كياني، وعنفي الألم الذي أشعر به نتيجة عشرات الجروح الصغيرة التي تسببت لي فيها مخالب ذلك المسخ الرهيب الذي ينتصب أمامي كروبوت فقد طاقته، ومع مروري بذلك الزلزال الخلوي الذي قضى على نواره، وقفت أمام ذلك المسخ المشوه.

وفي قرارة نفسي، قررت أن كل شيء انتهى وأني لن أتحرك من مكاني قيد أملة.

بل وقررت الاستسلام، لذلك المسخ الضاري، ليفعل بي ما يشاء، وقد ذكرتني مطاردته المحمومة، ثم وقفته المتجاهلة لي، بصراع القط والفأر في أفلام الكرتون القديمة..

مطاردة لا تنتهي، دون حسم أو فتك أحدهما بالآخر، أو نهاية للصراع.

وهذا جعلني أفكر أن هذا المخلوق العجيب، لا يحاول الفتك بي على قدر استمتاعه بالمطاردة نفسها، واستعذابه لمعاناتي، بمنحي الألم على هيئة، تمزقات صغيرة في جسدي.

وهو ما قررت أن أحرمه منه، خاصة وأن الإصابات التي تسببت لي فيها مخالبه، تشفى بشكل أسرع في هذا العالم الغريب، رغم ذلك السم العضوي الذي يلوثها!

وإن كان الألم المصاحب لها يجعلني أفضل أن تظل تنزف حتى تتصفي روحي،
على أن أعاني بمثل هذا الشكل المروع.

تأملت نواره مرة أخيرة، وأنا أكتم صرخة هائلة تكاد تخرج من حلقي، ثم
هبطت على ركبتي بجوارها، وقبلتها على جبينها، وقلبي يعتصر من الألم النفسي،
وجسدي ينسحق من آلام الشفاء وقلت:

- "وداعا يا نواره.. وداعا يا حبيبتي".

وبعدها تقدمت عدة خطوات من المسخ المشوه؛ وعيني مركزة على عينه
المطموسة، تدفعني ميولي الانتحارية للاقتراب أكثر، وصرخت به في قوة، مخرجا كل
ما كبته بداخلي من ألم وغضب وقلت:

- "هلم أيها الوغد.. هلم أنه معاناتي وعذابي، وألحقني بها.. هلم أيها الوغد
لأبد وأنتك جائع".

لا شيء!!

نفس الوقفة..

نفس النظرة الخاوية..

ونفس كمية الدخان التي تخرج من منخريه.

اقتربت أكثر لأحطه على مهاجمتي، فلم يتغير شيء.

وعندما طال الوقت، وشعرت أن تركيز هذا المسخ المشوه، ليس معي برغم
أنه لم يغير من مكانه أو وقفته أو اتجاه نظراته، أو يتوقف عن نفث البخار من
منخريه، صرخت به في جنون، محاولا استفزازه أكثر لينهي الأمر، ويهاجمني.

ولكن ذلك الأحمق ظل على وقفته، وكأن هناك شيء غير مرئي يكبله، أو يمنعه
من التقدم، فصرخت به أكثر بعد أن بلغت روحي الحلقوم، فقلت بصوت غاضب:

- ”هيا أيها الأحمق هاجمني.. هيا أيها الوغد المشوه لتسعد بإراقة دمائي..
هيا أيها الحرباء البشعة مزقني .. أنا لن أقاومك.. أنا انتهيت من كل هذا، فلتنتهي
مني“.

لم أكن في وعيي، أو في حالتي الطبيعية، ففقداني لنوارة أوصلني بسرعة
الصاروخ، لشفير الهاوية.. فلم يعد يعنيني أن أخسر حياتي، بعد أن خسرتها هي..
رحلتي وصلت لنهايتها؛ ما أتمناه فقط أن يتحرك هذا الوغد بسرعة، وأن تكون
نهايتي أسرع من انتشار ذلك الألم في كيائي.

لقد انتهيت من هذا العالم، ومن كل شيء.

لا مزيد من الفرار أو الركض.

لتكن النهاية سريعة، وليذهب كل شيء بعدها إلى الجحيم.

وعندما هممت بالاقتراب أكثر، ولم يعد يفصلني عن ذلك المسخ إلا عدة
أقدام، رأيت أنه يتحرك من مكانه، وينسحب تجاه نقطة متوترة على أطراف المكان.

وعندما هممت بالركض نحوه، شعرت بتلك القبضة القوية الناعمة تقبض على
يدي، وتمنعني من التماذي، وسمعت صوت نوارة الرقيق يقول:

- ”هل ترغب بقتل نفسك أيها الغرير.. هل ترغب بتركي في هذا العالم المقيت
وحدي.. ألن تتوقف عن التصرف كالأطفال؟“.

حاولت أن أستدير نحوها بسرعة وأنا غير مصدق أنها مازالت حية، فالتفت
قداي حول بعضها وسقطت أرضا في عنف، لتتضاعف آلام جسدي، فمدت يدها
لتساعدني على النهوض.

نهضت من سقوطي، وأنا أنتحب كالأطفال، وقلت بصوت يهوج بالاضطراب
والدهشة:

- "أنت حية يا نواره.. حية يا حبيبتي.. لقد كدت أقتل نفسي من أجلك.. فلا حاجة لي بالحياة إن لم تكوني فيها".

قبضت على يدي بقوة، فغرقت في بستان عينيها الأخضر، ثم قالت:
- "يا طفلي العزيز المتهور.. أنا لن أتركك بهذه السهولة.. بل لن أتركك أبدا، ولن يفرقنا إلا الموت..

إن جسدينا مازالا يحاولان التناغم مع ذبذبة هذا العالم، إننا برغم وجودنا على قيد الحياة، لم نصل بعد للاستقرار الخلوي الكافي.. سامحني لم أعلم أن كل هذا سيحدث عندما حاولت إخراجنا من البئر".

وعندما هممت بأن أستفسر منها عن الظلام الثقيل والعينين الشيطانيتين المفزعيتين، سمعنا صوت الفرقة المدوي، والصراخ المروع..

وعلى الفور استدرنا لنشاهد المسخ المشوه، وهو يتلوى، ويصرخ، قبل أن تدوي الفرقة مرة أخرى، ويتلاشى جسده العجيب بقلب عاصفة رعديّة دموية تشع بضياء أحمر باهر، ثارت فقط لتحتويه، ثم انتهت باختفائه، بعد أن ظل ذلك اللعين يطاردنا ليوم كامل دون هواده، وبعد أن أشعرنا أنه لا هدف له في الحياة إلا اقتناصنا.

وهذا دفعني لأن أصرخ غاضبا، حانقا، موجهها حديثي إلى نواره التي كانت تتابع في شغف طريقة ذلك الكائن الغريب في الاختفاء:

- "أهذا كل شيء، أبعد أن أنهكنا طوال يوم كامل، وحطم أعصابنا، وأصابني بكل هذه الجروح، وحقن سمه في عروقي، يغادر ببساطة، وبذلك الطريقة العجيبة، ألن يقتلنا أو يقودنا لفخ ما أو يأسرنا؟".

رمقتني نواره بعينها الخضراء الساحرة، ثم هزت رأسها وهي تقول:

- "لا يوجد فخ أكثر مما نحن فيه يا يزيد، كما أني لا أعتقد أنه ذهب إلى الأبد.. أنا على يقين تام من أنه سيعود فهو لم يحقق هدفه منا بعد.. ونحن لا نملك وسيلة حقيقية لمواجهة، أو مواجهة من سيأتي بعده".

حاولت أن أتجاهل الألم، وأنا أحاول أن أقنع عقلي، أنه السبيل الوحيد لشفاء جروحي وطرده السم من جسدي، وأن الألم ليس بمثل هذا العنف، عندما شعرت بنوارة تخترق عقلي، وتقول:

- "سيؤلمك الأمر للحظة واحدة.. وبعدها سيتلاشى ألمك إلى الأبد".

قالتها، وبعدها وجدت نفسي أصرخ بقوة، قبل أن تتلاشى كل آلامي، لأسألها بسرعة:

- "ماذا فعلت برأسي، وكيف توقف الألم؟".

ابتسمت برقة، وتألقت عيناها، فتمنيت لو ضمنتها بين ذراعي في هذه اللحظة، قبل أن تقول:

- "لم تعد إشارات جسدك العصبية تصل إلى المخ.. جسدك سيتفاعل مع إصابتك في صمت الآن.. لقد درستكم بما فيه الكفاية في أثناء وجودي في عالمك و..".
قاطعتها بسرعة متسائلا في استنكار:

- "وطالما تملكين القدرة على فعلها، لم تركتني أتألم كل هذا الوقت؟".

ظهر على وجهها الضيق وقالت:

- "لأنني لم أكن أملك القدرة على فعلها إلا الآن.. جسدك كان يحتاج إلى ما ينتجه من مواد مضادة ومسكنة لمقاومة السم.. والآن هو قادر على الصمود بدونها.. أنا أقوم بالأمر الصائب من أجلك دائما".

مازلت أمارس دور الجاهل والأحمق في هذا العالم الكريه، وبرغم تفسيرها وضيقتها، لم أشعر برغبة في الاعتذار..

واختطفتني من أفكاري، تلك العواصف الكهربائية الدموية التي كانت تموج في جدران القبة العازلة.. والتي صارت مسرحاً مرعباً، للانفجارات والأضواء المضطربة، قبل أن أقول في يأس:

- "لابد من وسيلة للخروج من تحت هذه القبة الملعونة، أو على الأقل نحتاج لسلح قادر على تفجيرها والقضاء على مسوخها، أعتقد أننا بحاجة لقنبلة نووية للقضاء عليها جميعاً، فهل لديك واحدة يا نواره؟".

ابتسمت نواره في هدوء متجاوزة ضيقها السابق، فصعد لسماء روعي قمر أزرق، ثم قالت بصوتها الطفولي الرقيق:

- "لا أعتقد أن الأمر سيتطلب قنبلة نووية حقاً.. أنت تبالغ كعادتك يا يزيد.. أعتقد أن القضاء على القبة ومسوخها يحتاج لسلح أقل تدميراً من قنبلة انشطارية.. إنها على وشك الانهيار بالفعل".

هزرت رأسي في ضيق، فحديثها أكد لي أن نهايتنا قريبة بالفعل..

وأننا مازلنا عاجزين عن أن نكون فاعلين في المكان، ونقرر مصيرنا بأيدينا..

القبة من فوقنا مسرحاً للأضواء الجنونية، والأصوات الناجمة عنها لا تحتمل، وفي وسط كل هذا أجد نواره، تقطع صمتها وتبتسم بطريقتها الطفولية، الساحرة، وتقول بشكل حاسم:

- "ثم إنني لا أمتلك واحدة يا يزيد، ولو امتلكتها لم أكن لأمنحها لك لتستخدمها، إن قوة الانفجار، والإشعاعات الصادرة من القنابل النووية لن تقتلها وحدها، بل ستقتلنا معها، إنها أسلحة مؤذية جداً".

برغم دقة الموقف، أجبرتني عبارتها الساذجة المستفزة على الابتسام..

ومن ابتساماتها العذبة، شع في روعي نوع من الطاقة الإيجابية المبهمة، فشعرت ببعض النشوة، وحمدت الله على وجودها بجواري، وأنها لم تسبقني إلى العالم الآخر، فوجودها بالقرب مني يدعمني بشكل كامل.

وعلى الرغم من أن تقاربنا، وفيض مشاعرنا المتصل على مستوى روعي عال، إلا أن جسدها وتحولاته قد أسرنى، فمازال جسدها يتفاعل مع طاقات المكان ويشع فتنة.

لمحتني أتأملها بشغف المراهقين، فاتسعت ابتسامتها أكثر، بعد أن قرأت ما يدور في عقلي، فعطرت عيني أكثر بتأمل ملامحها، التي تبدو كواحة سماوية بقلب تلك الصحراء الإسمنتية التي تحاصرنا من كل اتجاه.

ولا أنكر أنني برغم موقفى البائس في هذا العالم؛ إلا أنني أصبحت أسير هذه الابتسامة الساحرة.. رغم ما يأتي بعدها من مصائب أو أخبار سيئة أو خراب أو تفاهات.. إنه قلبي العنيد، الذي يحيا وحده في عالم موازي؛ ويقتسم عرشه، الحماقة وسوء التوقيت.

تمنيت لو أنسى العالم كله، وأظل أتأمل ملامحها الفاتنة، إلى آخر لحظة في عمري، عندما دوى النفير..

نفير أقرب للصير ضج في أنحاء المكان، فأخذت أنظر حولي في قلق، ورأيت نواة تمسح الأفق بعينيها، ولهيب حرارة تلك الألواح الشمسية النابضة - التي هي البديل الأوحى للشمس التي غربت - تعصف بجسدي وتزيد من توتري.

لقد قضينا في هذا العالم ثلاثة أيام كما أخبرني نورة.. منها يومين قضيتهما أنا في غيبوبة كاملة خارج تلك القبة اللعينة، قبل أن يتم اقتناصنا بواسطة شعاع ضوئي ناقل، ويتم زجنا بداخلها.

يومان عانت فيهما نواراة الأمرين لتحميني من هجمات المسوخ، مستغلة قدراتها البدنية العالية، التي تفوق قدراتي بعشر مرات على الأقل، حتى استقرت خلاياي بشكل كبير، وتغلب جسدي على ضعفه، وعلى التأثير السلبي لعبوري الشجرة دون أي احتياطات أو تجهيزات.

ويوم كامل خضناه معا في مواجهة مسوخ الشجرة، دون راحة، ودون أن نحظى بمنطقة آمنة نلتقط فيها أنفاسنا لوقت كاف.

فلم يكن هذا الحرباء العملاق المشوه هو المخلوق الوحيد الذي طاردنا خلال هذا اليوم الطويل الذي لا نهاية له..

بل كان هناك مخلوقان آخران معقدان في هيئتهما، طاردانا لبعض الوقت قبل أن يختفي الأول بنفس طريقة اختفاء الأخير.

وتلتهم القبة الثاني، بعد أن انفصلت عنها ممصات دموية مزقته إربا، ثم امتصته ليصير جزءا منها.

ومن ساعتها وأنا على يقين بأن المكان حي، وإن كنت لا أفهم كيف!!

الوحش الثاني، كان أكثر ضراوة ومباشرة من الوحش الأول والمسوخ الأخير، وكنا نختبئ منها جميعا خلف تلك المباني الإسمنتية المصمتة المتناثرة في أنحاء المكان، والتي تدل على حضارة عاقلة لم أقابل أي من آثارها، أو صانعيها حتى الآن.

تلك المباني، التي اكتشفت بعد الفحص والتدقيق، أنها عبارة عن مجموعة من الصناديق الإسمنتية المصمتة التي تموج بطاقة عالية، والتي لا توحى بوجود أي مؤشرات عن كائنات حية متوارية بأعماقها.

فقط هي هناك تقف كالمسلات المتجاورة بقلب البلوكات شبه السكنية، لتكمل لوحة الخرسانة الممتدة حولنا، والتي استنتجت نواراة في النهاية أنها مجموعة من

البطاريات التي يتم شحنها عن طريق الألواح النابضة بالطاقة الشمسية لتؤمن للعبة العازلة الطاقة والاستمرارية.

والشيء الأكثر غرابة هو تلك الأرضية الإسمنتية المصقولة الممتدة إلى مدى البصر، والتي تشع منها برودة محبة، فلا ترتفع درجة حرارتها أبدا رغم تسلط الألواح النابضة عليها، وكأنها مكيفة ذاتيا أو تم دهنها بنوع خاص من العوازل الحرارية.

من أين نأكل أو نشرب رغم عزلتنا هذه؟! حتى هذه اللحظة، ورغم مرور ثلاثة أيام على تواجدي في هذا السجن المحكم، لم أشعر بحاجتي لأي منهما، وكأن في المكان ما يعوض أجسادنا عما فقدته وتحتاجه، وأذكر أنني قبل أن يهاجمنا المسخ الأخير، مزحت نواره قائلا:

- "أشعر بنفسي كساعة قديمة يتم إعادة ملئها كلما فرغت طاقتها".

وساعتها أجابتنى بحيادية دون أن تنتبه لمزحتي:

- "طاقات المكان بالفعل تعمل على تجديد نشاط خلاياك".

وبالطبع طالما لم يكن هناك طعام فلن يكون هناك.. إحم.. كان هذا سيكون شيئا لا يطاق في هذا المكان المغلق، فالرائحة وال... لا داعي للاستطراد في هذا الموضوع المقزز فهناك أنسات بيننا.

وعلى الرغم من استمتاعي بتلك الهدنة القصيرة التي حظينا بها مع اختفاء ذلك المسخ المشوه الشبيه بالحرباء، وعودة نواره إلى الحياة، وتوقف شعوري بالأم.

إلا أنني لم أتوقف عن القلق لحظة، والتفكير في القادم الذي أجهل عنه كل شيء، فالأرض الإسمنتية تشققت، والقبّة تكاد تنفجر من هول ما تموج به جدرانها من تفاعلات، والنفير الذي يشبه جرس الإنذار لا يتوقف.

إننا برغم نجاتنا المؤقتة بحاجة ماسة إلى مأوى بشكل سريع، لنتفادى عن طريقه تلك الهجمات الشرسة التي تقوم بها المسوخ والوحوش القادمين من الثغرة، ومنه نبدأ في البحث والتواصل مع أي كائن أو كيان عاقل يجيب عن التساؤلات المزعجة التي تعصف برأسي، وأهمها:

أين نحن؟

وهل سنظل نواجه تلك المسوخ الرهيبة، التي لا تشبه أي كائنات أخرى رأيتهما أو تخيلتها في حياتي إلى الأبد، أم أن هناك مرحلة تالية؟

من الذي استخدم الشعاع الناقل، وألقانا في هذا الجحيم؟

قاطع أفكارى، رؤيتي لنوارة، وهي تتوقف أمام أحد تلك المباني المصمتة المفعمة بالطاقة، وتنظر إلى الأرض في اهتمام، فسألتها بقلق:

- "هل هو وحش جديد قادم من الأسفل؟".

تجاهلتني لبعض الوقت، وهي مستمرة بالنظر إلى الأرض المتشقة في تركيز، ثم قالت بشيء من الشرود:

- "لا وحوش هناك.. ولكن هذه البقعة من الأرض تختلف تمامًا عما يحيط بها، إنها تشع حرارة لا برودة".

نظرت لها بعدم فهم، ثم تساءلت، وعلامات الغباء ترسم على وجهي:

- "وماذا يعني هذا؟".

سرحت قليلا ثم ابتسمت وقالت:

- "معناه أننا لسنا بداخل سجن محكم تمامًا، وأن من يتحكم في هذا المكان بدأ يفقد سيطرته عليه مع الاختراق الأخير للثغرة، و...".

صمتت.. فنظرت لها بلهفة، فاستطردت:

- "وأني من هذه البقعة، قادرة على العبور إلى الجانب الآخر".

قالتها، وقرنت الأمر بالغوص بجزء من قدمها في تلك البقعة الدافئة، قبل أن تهز رأسها، وهي تبتسم في سعادة لتتألق عيناها الفيروزيتان، وتصفق كالأطفال، وتقول:

- "هناك مخرج يا يزيد.. هناك مخرج يا حبيبي".

لمحت ألسنة من البرق الدموية تسطح في سماء القبة التي جن جنونها، فصارت كقم كبير يستعد لالتهامنا، وكأنما لا يعجب صانعيها عثور نواره على مخرج أو وسيلة للفرار.

كان مشهد القبة مهيبا وهي تتوهج، وتتماوج في غضب، ولكني تجاهلتها تماما، وبكل سعادة وفرح الدنيا عدوت نحو نواره، واحتضنتها، بعد أن وجدت لنا المخرج.

لتسري في جسدي صاعقة كهربية مزلزة، رجتني من أعماقي رجا، وجعلتني أصرخ في ذعر، وأنا أشعر بأن عقلي يشوى بداخل رأسي، حتى توهمت أني أشم رائحة شياطين زاعقة.

وكان أصعب ما رأيته، هو وجه نواره الفزع، وأنا أتشبث بها، ونغوص معا في أعماق البقعة الدافئة.

وللمرة الثانية في هذا العالم الغريب ظللت عيني غشاوة داكنة، لأسقط فريسة بين أنياب الظلام.

وقبل أن تظلم الدنيا تماما، لمحت مسخا جديدا يشبه أخطبوطا هائلا، له عشرة رؤوس، يتجسد تحت القبة العازلة ليلوث الأرض الإسمنتية المتشققة التي غرقت بدماي، بمخاطه الكثيف.

وأظلم كل شيء.

مازلت أمارس دور الأحمق، الذي لا يكف عن الغياب عن الوعي كلما تأزم الموقف، وعلى عكس المفروض من أن أكون أكثر تحملاً وقوة من نواره، وأذود عنها، وأحميها، بصفتي رجلها وحبيبها، فقد انقلبت الأدوار تماماً في هذا العالم. لذا كنت في كامل دهشتي وذهولي، عندما أفقت من غيبوبتي هذه المرة، ووجدتها تطفو بجواري بقلب فراغ هائل مضاء بشكل جيد، ويدها تقبض على يدي بقوة، لتحثني على الإفاقة.

لم تكن هي وحدها من تطفو في فراغ المكان.

بل كنت أنا وهي وكرة هائلة الحجم من الكريستال العاكس تتوسط المكان ولا تتوقف عن الدوران، وكأن هذا المكان الغامض الجديد لا يعرف أي شيء عن الجاذبية الأرضية.

حاولت أن أتخذ وضعاً مريحاً، وفي نفس الوقت يتيح لي مواجهة نواره، بعد أن مسحت المكان ببصري فلم أميز إلا جدران دائرية بيضاء تحيط بنا من كل اتجاه، دون وجود نوافذ أو أبواب، أو مكان للخروج.

سجن جديد، بمواصفات جديدة، وعلينا أن نتخطاه، وهنا دوت في رأسي الفكرة فقلت محدثاً نواره:

- "لو أنني بداخل رواية من روايات الخيال العلمي، لأخبرتك الآن أننا مجرد

فتران تجارب بين يدي مخلوقات ذكية تسعى لاختبارنا ودراستنا، وأن هذا المكان هو لغز جديد يتطلب منا حله، وأن هذه الكرة الكريستالية العاكسة التي تدور دون توقف، نوع من الكاميرات لمراقبتنا، وربما بعد وقت قليل سيتجسد لنا في هذا الفراغ العجيب، مسخ جديد، وأتمنى ألا يكون ذلك الأخطبوط ذا العشرة رؤوس".

كان من الواضح أنها رصدت هي الأخرى، ظهور المسخ الجديد تحت القبة، قبل أن تبتلعنا البقعة الدافئة، لذا فإنها نظرت نحوي في دهشة ومطت شفيتها، ومنحتني نظرة مستنكرة، وهي تسبح أمامي في رشاقة وخفة، ثم قالت بقلق:

- "برغم أننا لسنا بداخل قصة من هذا النوع، لأنها في هذه الحالة ستكون قصة رعب، فإن عقلي يخبرني أنه التفسير الوحيد المقبول إلى الآن.. ولكنه لا يمنحنا أي دليل، أو طرف خيط لحل اللغز".

قالتها ثم اقتربت مني، وعدلت من طريقة طفوي العشوائي بفراغ المكان، فسألتها بسرعة، وبصوت متوتر:

- "أي لغز؟".

هزت رأسها في ضيق كالأطفال وقالت:

- "لغز بقائنا على قيد الحياة.. وطريقة خروجنا من هذا المكان يا يزيد.. ركز قليلا لو سمحت.. لقد عثرت على المخرج السابق بالصدفة، ولا أعرف عما نبحث هنا، فالمكان كله بارد، وقد اختبرته بنفسى عدة مرات أثناء فقدانك الوعي، إن فرق درجات الحرارة ليس الحل هذه المرة؟".

نظرت حولي في حيرة، ومن دون تفكير، أشرت بيدي نحو مركز المكان، وقلت:

- "الحل يكمن في هذه الكرة الكريستالية اللامعة صدقيني".

رمقتني نوازة بغير فهم، ثم تساءلت في شك:

- "وأين يكمن الحل في هذه الكرة الكريستالية اللامعة من وجهة نظرك، لقد فحستها بنفسى عدة مرات قبل إفاقتك، ولم أجد أي طريقة بواسطتها يمكن حل اللغز، فهل توصل عقلك لشيء غاب عني؟".

شعرت لحظتها بغباء مستطير، وأنا أقول بارتباك:

- "هو مجرد انطباع وهاجس مسيطران على تفكيري لا أكثر.. فهي الشيء الوحيد الواضح والمختلف في هذا المكان.. لا أعرف يا نورة.. عقلي يخبرني أن الحل يكمن هناك.. ولا يخبرني كيف؟".

رفعت كتفيها في ضيق، وعادت لتسبح في قلب الفراغ، وتبعثها أنا مستمتعا بتجربة انعدام الوزن، ونحن نقرب من الكرة الكريستالية الدوارة، وأخذنا نتحسس ونفحص كل جزء منها لعدة مرات دون أن يتبدل شيء، فتراجعت للخلف سابحا في الفراغ، متأملا الكرة من منظور أكبر، ثم فكرت قليلا، ووجهت حديثي إلى نورة قائلا: - "هل جربتِ قدراتك الخاصة على هذه الكرة الكريستالية يا نورة، هل حاولتِ تدميرها أثناء فقداني للوعي؟".

وعلى الفور وصلت الفكرة لنورة، إنه مكان جديد، وربما تعمل قدراتها الخارقة فيه بعد أن حجمتها القبة العازلة..

لذلك اقتربت من الكرة وألصقت يديها بها، وأخذت تغير ذبذبتها، ومع تزايد اهتزازها، بدأت الكرة تتوتر، والمكان كله يهتز، فصرخت في نورة: - "أقوى يا نورة.. أقوى.. إن قدراتك الفائقة هي حل اللغز".

وهنا دوى صوت فحيح مكتوم رج المكان بقوة، ومن قلب عاصفة رعديّة محدودة، ظهر كائن معدني متناسق الملامح، يشبه الروبوت، لديه قرنان معدنيان، أشبه بقرون الجديان والشياطين، في تناقض مذهل، وقال بصوت فزع يشوبه الاضطراب:

- "لا تحاولي.. ستدمرين المكان كله.. وتقتلين كل من فيه".

صدم الصوت المحذر نواره، فأقلعت عما تفعله على الفور، فتوقفت الكرة الكريسالية والمكان عن الاهتزاز، ونظرت أنا بدهشة لذلك الكائن المعدني عجيب الهيئة، وإلى قرونه المريبة، والذي كان يتواصل معنا عن طريق التخاطر العقلي، وقلت بدهشة عظيمة:

- "من أنت أو ما أنت، وأين نحن، هل أنت إنسان آلي قاتل يسعى لتدمير العالم وتدميرنا.. أم أنت روبوت يتقمص شكل الشيطان، وهل أنت من تتحكم في القبة العازلة؟".

أعرف جيدا أن تساؤلاتي جميعها حمقاء، نظرا لعدم وجود ذاكرة أو خبرات مشتركة بيني وبينه، ولكن عقلي لم يجد غير هذا التعبير، وهذه الصورة الخيالية لي طرح بها دهشته وتساؤله، وبسرعة رد الكائن المعدني، الذي أصابته تساؤلاتي ببعض الحيرة وقال:

- "لا أعرف عما تتحدث أيها المخلوق الهش، ولكنني كائن حي مثلك، وربما يكمن الاختلاف فقط في أن جسدي غني بالبروتانيوم، أقوى معادن الكون الحيوية، لذا فهيئتنا تختلف عن هيئتك".

وأنا بالفعل المتحكم في القبة العازلة، وأنا من أنقذكما من مسوخها التي شوهت بعضها عملية الانتقال القصرية عبر الثغرة، ووفرت لكما خلايانا الحيوية، ما تحتاجه أجسادكما من طاقة ومعادن حتى تستقر خلاياكما في منطقة العزل، وأنا (آتوم) حارس البوابة النجمية التاسعة".

نظرت لنواره متسائلا، فمحتني نظرة حائرة جاهلة، فبرغم أنها من نقلتنا إلى هذا العالم، وبرغم أن عقلها المتطور يمتلك معارف وعلوم كونية وأرضية لا تحصى،

إلا أنه من الواضح أنها تجهل كل شيء عن آتوم وبوابته النجمية، مما دفعني أن أتوجه بالسؤال لآتوم قائلا:

- ”رغم أنني غير مصدق لفكرة أنك كائن حي بهيئتك المعدنية وقرونك العجيبة هذه التي تجعلك أشبه بشيطان آلي مريب، وبرغم أنني لا أصدق أن هناك عالم مماثل من الأساس!! ولكنني أرغب في أن تشرح لي ماهية البوابة النجمية، وتخبرني من أي شيء تحرسها.

ولكن قبلها أخبرني شيئا من باب الفضول، هل المسخ الأخير الذي واجهناه، قد تشوه بالفعل عند عبوره الثغرة، ففي جسده كان يمتزج اللحم بالمعدن، كما أن هيئته كانت عشوائية بشكل غريب؟“.

صمت الشيطان المعدني آتوم قليلا، وكأنه يدير الأمر في رأسه، قبل أن يقول بلا حذر، وكأنه أدرك أنه لا خطر منا:

- ”الساكورا كائن نجمي مسالم جدا، وهذه هي بنيته الطبيعية التي لا أرى فيها عيبا، ربما في كونكما البدائي مازلتما تقيمون الكائنات الحية بشكلها، وهو مقياس خاطئ جدا، لأنني رغم أنني أراكما أقبح مخلوقات الكون، إلا أنني أتعامل معكما بحيادية، فجوهر الكائن الحي هو المهم.. والساكورا من أنقى المخلوقات الحية وأكثرها لطفا.

مهاجمته لك وحدك لم تكن عشوائية، ولم تكن لقتلك أو للعبث بك كما كنت تعتقد، بل كان يساعد جسدك على تقبل التحولات الكثيرة التي كانت تحدث له، على المستوى المادي، والطيفي، والنجمي.

وكان يعالجه ويداويه باستخدام ما تحويه مخالبه من مواد نادرة، من طفيلي أصابك في مواجهتك مع الكائن المفترس الثاني، الذي كان يسعى لالتهامك، وأنقذتك

أنا منه مستخدما تقنيات القبة العازلة، إنه رسول سلام لا شر، أنت فقط لم تفهم الرسالة بشكل صحيح“.

الحقيقة أنني في هذه اللحظة شعرت بأنني أحمق كبير، وتسرعني الدائم يضعني في مواقف محرجة كثيرة، ولكن لي كل العذر مع كل الأهوال التي أواجهها، منذ قابلت نواره.

دارت كل هذه الأفكار في عقلي، متجاهلا أنني ونواره وآتوم متصلين عقليا، فشعرت بحزن نواره، ودوت أفكار آتوم في عقلي قائلا:

- ”لقد عانيت كثيرا أيها المخلوق الهش.. والبعض قدر له أن يعاني أكثر من غيره.. لا شيء في الوجود يحدث عشوائيا، حتى وجودك هنا لابد أنه لحكمة ما، جنسك للأسف من النوع العجول الذي يتبع غرائزه لا أكثر، تواجدي هنا لسبب، كما أن تواجدك هنا أيضا لسبب لم تكتشفه بعد“.

وهنا سألته بسرعة ودون تفكير:

- ”وهل تعرف أنت السبب؟“.

صمت قليلا ثم قال:

- ”على كل شخص أن يكتشف طريقه بنفسه“.

أحنقني جوابه، فقلت:

- ”لم تجب على باقي تساؤلاتي.. ماهي البوابة النجمية التاسعة، ومن أي شيء

تحرصها؟“.

رمقني بصمت للحظات، قبل أن يقول:

- ”إنك عدائي بشكل كبير.. ولكن جوهرك يخبرني أنك لست بهذا السوء.. لذلك

سأجيب على تساؤلاتك.. ولتعلم في البداية أن الكون في هذه المنطقة مضطرب

جدا، والبوابة النجمية التاسعة وسيلة ضمن وسائل عدة لمعادلة هذا الاضطراب، وحصر الشذوذ الذي نشأ في هذه المنطقة دون سبب واضح، كي لا يبتلع كل منظومات الحياة الموجودة في الأكوان المتعددة، وهي في نفس الوقت وسيلة للانتقال عبر الأبعاد، والأكوان الموازية، خلال خطوط الزمان المتقاطعة، وهي إحدى البوابات العشر، التي تربط الأكوان الداخلية بالكون الخارجي الأعظم، والحيز غير المعروف..“.

شعرت أنه يتحدث بلغة سرمدية لا أفهمها، مع كثرة المصطلحات التي يتكلم عنها ببساطة، وكأنها مسلمات فقطاعته قائلا:

- ”هل معنى كلامك هذا، أن هناك أكوان متعددة تغص بالمخلوقات الحية الذكية، وهذه الأكوان التي تطلقون عليها الأكوان الداخلية، تقع ضمن كون آخر أكبر، وبقلب هذا الكون نشأ اضطراب غير مفهوم، تحاولون حصره، باستخدام عشر بوابات مماثلة؟“.

رمقني آتوم المعدني للحظات قبل أن يقول:

- ”تحليلك لم يختلف عما أخبرتك به منذ لحظات، ولأوضح الفكرة أكثر، أخبرك أن البوابات كانت وسيلة خاصة لمخلوقات عالمنا للانتقال عبر الأكوان المتعددة، ونافذتنا لاستكشاف الكون الخارجي الأعظم بحثا عما يوجد خارجه في الحيز غير المعروف.“

وعندما حدث الشذوذ الكوني، ومزق نسيج الزمكان، قمنا بتطوير آلية لحصر الضرر المتفاقم، وعليه أصبحت البوابات النجمية هي الآلية المثلى لإعادة التوازن الكوني.“.

قالها ثم أخرج جهازا صغيرا، سداسي الشكل يشبه إحدى خلايا النحل، ولا يزيد حجمه عن حجم هاتف محمول حديث، وقال:

- "كان هذا الجهاز المحدود هو نفسه البوابة النجمية في شكلها القديم، وبرغم حجمه الصغير، كان قادرا على نقل أسطول كامل من سفننا النجمية عبر الأكوان المتعددة، بتقنيات كونية لن تتوصلوا إليها قبل عشرة آلاف عام.

نشوء الشذوذ والاضطراب المجهولين جعلنا نظوره إلى هذا الحجم الرهيب الذي يصل لحجم قمر متوسط الحجم، وعن طريقه نستطيع الآن نقل مجموعات شمسية كاملة لننقذها من براثن الشذوذ المدمر والتمدد، الشذوذ الذي نتج من حيث أتيتما، ومن حيث تأتي تلك المسوخ المفعمة بالشر".

قرن حديثه بأن أشار إلى جزء من الجدار الأبيض المحيط بنا، وعلى الفور توتر الجدار، وتلاشى وكأنه صورة هولوغرامية غير مستقرة، وظهرت خلفه مجموعة من الكبسولات المعدنية المتراسة إلى مالا نهاية.

والتي يتواجد بداخل كل منها أحد تلك المخلوقات غريبة الهيئة التي سبقتنا إلى المكان، والتي كانت تنتصب بثبات لا واعي في قلب الزنزانين الإلكترونية، وضوء أبيض ناصع يقوم بفحصها، وإرسال بياناتها الحيوية إلى مكان ما.

نظرت لآتوم باستنكار وقلت:

- "أي نوع من المعتقلات هذا؟".

أجاب بهدوء:

- "إنه نوع متطور للغاية من آليات الاحتواء والفحص والسيطرة، ما لم أخبرك به حتى الآن، أنه برغم تطورها، وما توصلنا إليه من علوم وتكنولوجيا ومعارف، إلا أن الكون يفاجئنا بالمزيد والمزيد من الأشياء والأمور التي تثبت لنا جهلنا طوال الوقت.. فما زلنا على جهلنا بسبب نشوء ذلك الشذوذ، برغم أننا أدركنا بعد استخلاص ذكرياتكم، أنكم تطلقون عليه في كونكم اسم السحر.

وهو شيء لا قواعد له، وما زلنا عاجزين عن تفسيره أو استنباط طريقة عمله،

ومازلنا نكافح لحصر أخطاره، ومازلنا نكافح لتحديد المتسللين، وقراءة عقولهم لنصل لوسيطة للقضاء على هذا الشذوذ الزمكاني، وكل هذا يتم بصورة آلية أقرب للكمال، فعلومنا“.

وهنا قاطعته بسرعة قائلا:

- ”إن كان كل شيء يتم بشكل آلي، وأنت كائن حي - مازلت غير مقتنع بالأمر - فما فائدة وجودك كحارس للبوابة، وما هو مصيرنا ومصير تلك المخلوقات المحتجزة؟“.

رد بنفس الطريقة الهادئة، وهو يشير للجدار الذي توتر وعاد لسيرته الأولى بغير سوء وقال:

- ”إن وجودكما ووجود كل هذه المخلوقات هنا في البوابة النجمية التاسعة مؤقت، ولو أن عقولكما أكثر تطورا لأدركتما أن بنيكما الخلوية تتهاوى، وأن هناك قوى كونية غامضة تسحبكما إلى خارج كوننا المضطرب“.

هنا انقبض قلبي بشدة، وتذكرت الظلام الحي، والعينين المفزعتين، والنداء، وسمعت شهقة نوارة، وهي تشاركني تلك الذكرى الرهيبة مع تواصلنا عقليا، ولكنني تجاهلت كل ردود الفعل، وعدت أنصت لآتوم الذي كان يقول معلومات شديدة الخطورة:

- ”أنا هنا لأحمي المكان من المتسللين الذين لا يمكن احتواؤهم بالوسائل التقنية المعروفة، ولأشرف على الوضع بنفسني فالأمر يتفاقم، فكل اختراقات حاجز الزمكان تضعف من بنية الكون ونسيجه، وستؤدي في النهاية لدمار محتم، وهلاك أكوان كاملة بحضاراتها ومخلوقاتها..“

الأمر أكبر من تخيلكما، وتفكيركما.

والمخيف والمختلف في وجودكما هنا، أن ظهوركما في منطقة الاحتواء، سرع

من وتيرة الانهيار الكوني، ومن فحصكما تبين أنكما متصلين، بطاقة هائلة سوداء في عالمكما لم نستطع استيعابها أو فهمها.

هذه الطاقة حية بشكل غير مفهوم، ووجودكما في قبة الاحتواء، كان يمنع تلك القوة السوداء الرهيبة، من جذبكم إلى عالمها الرهيب، ولكن اختراقكم للقبة، ووجودكما هنا، قلل من فرص نجاتكما..

والاضطراب الذي حدث لأجسادكما، لن يكون الأخير، لقد حاولنا الاحتفاظ بكما معنا ولكننا فشلنا.. وقدركما أن تواصلوا رحلتكما“.

وهنا وللمرة الأولى تسبقني نؤارة وتساءل:

- ”وكيف سنواصل رحلتنا هذه، وكيف سنواجه هذه القوة السوداء المشؤومة؟“.

هز آتوم رأسه وقال:

- ”نحن من اعترض مسار رحلتكما، وحررناكما من أسر تلك القوى المظلمة التي حاولت جذبكما لعالمها وأنتمما أسفل القبة، ولكن كيانكما مازال مرتبطا بكونكما، ستغادران بوابتنا النجمية التي تقع في إحدى نقاط تلاقي الأكوان، وستنتقلان إلى حيث قدر لكما، ولا يمكن لأحد أن يواجه تلك القوة السوداء الغاشمة، إنها بداية النهاية لهذه الدورة الكونية من الحياة“.

وهنا قلت في غضب:

- ”إن كنت تؤمن بأن كل شيء مقدر، فلماذا اعترضتم مسارنا من البداية، ولماذا حاولتم إيقاف الشذوذ المتفاقم، ولماذا تحذرننا من تلك القوة السوداء الرهيبة، التي ستفني مخلوقات الكون، لتبدأ دورة حياة جديدة، أليس كل هذا مقدر أيضا؟“.

هز آتوم رأسه، وقال بنفس الهدوء:

- "إجابة سؤالك أبسط مما تتصور.. لقد قدر للشذوذ أن يحدث، وقدر لكما أن يرتبط مصيركما بكيان كوني غامض، وقدر لنا أن نقاتل، وقدر أيضا أن نفشل، لتبدأ أنتما قدركما الخاص وتخوضان حربكما الخاصة، كل شيء مقدر، وبرغم ذلك علينا أن نبذل كل ما بوسعنا، لتحقيق هذا القدر، فلا تعارض هناك".

أدرت الأمر في رأسي، فوجدته يتحدث بمنطق المعضلات البيزنطية، كتلك التي يقولون فيها: إن كان شخص من كريت يقول أن كل أهل كريت كاذبون، فهل هو صادق أم كاذب؟

لذا فإنني سألته:

- "وهل قدرنا أن نأتي هنا لنراك فقط وننصرف، أم أن هناك هدف آخر لا أعرفه؟".

وهنا أجابت نواره بسرعة وقالت:

- "الأمر لم يكن عبثيا أو عشوائيا كما قال آتوم، لو أنه مقدر لك خوض معركة حقيقية، فلا بد أن التحولات التي حدثت لك تحت القبة العازلة وأثرت على جسدك هي السبب، أنت تغيرت كثيرا، ولكنك لم تلاحظ الفرق حتى الآن من فرط تلاحق الأحداث..

كما أننا عرفنا جزءا مما يواجهنا، وعرفنا أن آتوم وقومه في صفنا.. ويكفي أننا سنكون معًا، حتى لو جبننا الأكوان جميعها..

لو كانت هناك خطة من القدر من أجلنا، فكل ما علينا القيام به، هو اتباع قدرنا".

برغم أن نواره ألقت الكلام ببساطة، إلا أنه أثر في روحي كثيرا، فكل نوافذ روحي مهياة لاستقبال شمس كلماتها، ولذلك منحت لنواره نظرة امتنان كبيرة..

إن وجودها بجواري فارق.. فارق جدًا.

كنت أدرك أن بعض النصائح حينما تأتي من أشخاص مقربون لقلوبنا، فإنها تحقق مفعولها على الفور.. .

ومع نواره كنت على استعداد لخوض الجحيم ذاته، لمجرد أن الأمر يروق لها فقط.. فهي قدرتي الذي لا أستطيع الاستغناء عنه.

وبالطبع انتقلت كل هذه الأفكار لعقلي آتوم ونواره، وقبل أن أرصد تفاعلهما معها، بدأ جسدي وجسد نواره في الاهتزاز.

وأدركت لحظتها أن كل كلمة قالها آتوم كانت حقيقية، وأنه يعلم أكثر مما أخبرنا به، وأنه كان يعدنا نفسيًا فقط للمواجهة الرهيبة القادمة.

وقبل أن ينهار جسدي تمامًا، شعرت بآتوم يقترب مني، ويضع في يدي الجهاز المسدس الشكل، الذي كان له ملمس غريب كملمس جلد الأفعى، ويقول بكل جدية:

- "لو نفذت خياراتكما، استعملنا تلك البوابة النجمية، إن طاقتها ستعمل مرة واحدة فقط، وستنقلكما إلى هنا مهما كان موقعكما عبر الكون الأعظم.. إنها وسيلة نجاتكم الأخيرة فحافظوا عليها، وهي وسيلة لا يمكن تعقبها، على عكس تلك الوسيلة التي تستخدمها امرأتك والتي لها أثر مميز، ويسهل تتبعها بسبب بصمتها الروحية المشعة..

ولو فشلتما في تحقيق قدركما، عليكم بالعودة، فلن يكون هناك مكان آمن في الوجود مثل بوابتنا هذه.

ولكن هذا سيعني بقاءكما إلى الأبد، لأننا لن نسمح للشر باستعادتكما مرة أخرى، ونحن نطور منذ الآن آلية دعم ومقاومة جديدة.. كما أن هذا الجهاز المحدود يحتوي طاقة عظيمة فحذاري من سوء التعامل معه".

لم أستطع أن أجيب آتوم، لأنني كنت أتلوى من الألم، بينما أن ما جال في خاطري حينها، أن قدرنا قادننا لآتوم الذي لا يشبه البشر في هيئته، والذي له قرون معدنية كقرون الشياطين، ليمنحنا الأمل، في مفارقة غريبة، وهو نفس القدر الذي يجذبنا الآن صوب الجحيم..

لا أعرف لماذا اختارتنا الأقدار لنخوض هذه المعركة، رغم أننا انهزمنا في معركة عالمي؟

في الأمر سر وحكمة..

ومن الواضح أننا سنعاني كثيرا حتى نصل إليها..

هذا لو قدر لنا أن نصل.

قال بصوت عالٍ: أنا خائف.
كانت النوافذ محكمة الإغلاق.
فارتفع الصدى واتسع: أنا خائف.
صَمَتَ.
لكن الجدران رددت: أنا خائف.

قال أنا خائف: للشاعر محمود درويش.

أنا خائف

- 1 -

تيار الهواء الذي اصطدم بوجهي، وأعادني إلى وعيي هذه المرة، كان بارداً برغم صفاء الجو، وإن كان يحمل رائحة الأرض المحروثة، والأزهار العطرية، مختلطة برائحة عضوية لم أستطع تحديد ماهيتها، ولكنني أحببتها وتماماً معها. السماء نفسها كانت شديدة الصفاء، لا يلوّث صفحتها دخان أو غبار أو سحب، والنجوم تتألق كحبات من الدر.

لوحة إعجازية للخالق العظيم، يتوسطها قمر فضي لامع، لا بد وأنه ينتظر عاشقان متلهفان ليناجياه، فيوصل رسالة كل منهما للآخر، لتبدأ قصة حب جديدة يرعاها؛ تسليه في ليالي وحدته.

سماء عادية جداً، كنت أراها كل يوم في عالمي، دون أن تلفت نظري أو أبالي بوجودها، فلأين ستذهب السماء، نحن من نذهب فقط!

وهي نظرة قاصرة جداً، تقوم على أن كل الأشياء المهمة في حياتنا، يصبح وجودها من المسلمات حتى نفقدها، وساعتها، وساعتها فقط نشعر بقيمتها وأهميتها..

كالزوجة المحبة، والصحة، وراحة البال، وسماء مليئة بالنجوم.

كل شيء عادي بشكل رائع.

إنها مرحلة أن ترى كل شيء معتاد إعجازيا، بعد أن كنت تصارع لتنجو بحياتك
بين الوحوش والمسوخ.

والآن لن تجد أحد في الكون يمثل سعادتي، لمجرد رؤية السماء بنجومها
وصفائها، فهي تعني أننا عدنا..

لم نعد أسرى في ذلك الوضع الغريب، الذي قاسيت فيه الأمرين..
لم يعد هناك مسوخ..

ولا آتوم..

ولا قبة عازلة.

كل شيء حولنا، حميمي ومعتاد، ويمنحنا بعض الأمل في أن نقابل مسوخ عالمنا
الظرفاء، لا تلك المسوخ الرهيبة التي واجهناها في ذلك الكون المضطرب.

لن أنكر أن الانتقال هذه المرة كان سلسا، ولم يكن فوضويا كما حدث في المرة
السابقة، ولا أدري إن كان لـ (آتوم) دور فيه أم لا.. يكفي النتائج في هذه المرحلة،
ولا داعي لتكدير العقل بالأسباب.

تمزقات عديدة في ثيابي من آثار الهول السابق، ولكنها مازالت صالحة
للاستخدام؛ حتى أستطيع استبدالها بأخرى أفضل، فلم يكن لدينا الوقت
لاستبدالها، ولم يمر هذا بخاطرنا من الأساس..

الهواء منعش، حتى ولو كان على كوكب يبعد ملايين السنوات الضوئية من
الأرض، وهذا جعلني أتمهل وأنا أفحص جسدي لتتملكني دهشة عظيمة.. فلا أثر
للجروح.. ولا توابع للألم.. وكأن كل ما مررت به، هو مجرد حلم سخي!

ولولا وجود جهاز الانتقال النجمي في قبضتي، لأيقنت أن ما مر بنا من أهوال،
كان مجرد كابوس ثقيل، انتهى، وذهب إلى حال سبيله، وأن آتوم وقبته العازلة
مجرد وهمان.

أعترف أن التجربة في ذلك الكون الموازي المضطرب كانت قاسية، وغير منصفة لنا، ولكننا ويا للعجب نجحنا في عبورها دون خسائر فادحة.

فقط ما يؤرقني الآن، أن هناك شيء ما لا أدري كنهه يدور تحت جلدي!
سلسلة هائلة من التغيرات والتحويلات تجتاحني من الداخل بشكل يثير حفيظتي وتوترتي..
بل وذعري.

ولا أعلم إن كان لها علاقة بالانتقال الفائق بين العوالم، أم أن لها علاقة بنوارة، أم شيء آخر لم أضعه في حسابي!
نوارة نفسها أخبرتني أن ما يحدث لي شيء عظيم، فقط هو لم ينته لأدرك أبعاده وكنه تطوراته..

وبرغم جهلي بكل ما يحدث، ومحاولة الاستمتاع بالجو الاستثنائي؛ إلا أن لدي يقين أن هذا التحول سيفاجئني أنا شخصيا.

كنت أتمنى لو قضيت وقتا أطول مع آتوم، ذلك الكائن الفضائي واسع المعرفة، لعلني أرضي غروري، بمعرفة حقائق عن الكون لم تصل لها حتى قريحة علمائنا المخضرمين بخيالهم الذي لا حدود له.

آتوم نفسه مازال لغزا عصيا على عقلي، ومازلت غير مستوعب أن الخير في ذلك الكون الموازي الذي تركناه خلفنا، يحمل ملامح شيطان عالمنا يمثل هذا الشكل الصريح والفج في ذات الوقت..

والصادم أنني لا أعرف من أين استقى شكله الخارجي هذا؟

وهل هو كائن حي بالفعل أم مجرد تقنية متقدمة وذكاء صناعي خارق؟

والسؤال هنا:

هل يمكن أن يكون الشيطان في النهاية مجرد روبوت هائل المعرفة، أو مخلوق نصف معدني، يعبر الأكوان مستخدماً تكنولوجيا فائقة، تجعله في نظر بعض المخلوقات في مصاف الآلهة؟

أم هو مجرد انطباع خلفته في أعماقي تلك القرون المعدنية التي تعلو رأسه، التي أربطها دوماً بشيطان عالمي الخفي، والذي لم أر له إلا صور غابرة تركها الأقدمون تبرزه بهذا الشكل.

ترى أيهما أتى أولاً؟

التساؤلات بحر، والغرق فيه مهلك.

لذا رحت أتأمل نواره التي كانت تجلس أمامي صامتة متكورة على نفسها، على عكس عاداتها مؤخراً بالثرثرة، وسط الأرض الشاسعة، المفعمة بالأزهار والحشائش التي امتدت أمامنا على مدى البصر.

وفي عينيها لمحت حزناً وقلقا غريبين، فاقتربت منها، فلم تحرك ساكناً، فسألتها في حذر من لا يريد أن يفسد أمسية مميزة:

- "ماذا هناك يا نواره أنت بخير؟".

ترفع عينيها نحوي ببطء، فألمح وجهها يتقلص، ودموعها الفسفورية الزاهية تغرق وجهها، فاقتربت منها أكثر، وأضمتها إلى صدري، فتقول بشيء من الجزع:

- "إنني خائفة يا يزيد .. خائفة بشدة؟".

أرمقها بدهشة، وأتساءل في هلع، وأنا أستعيد تجربتها الشنيعة مع تلك البكتريا الفضائية المشؤومة:

- "هل أصابك مكروه يا نواره أثناء العبور؟".

تهز رأسها في بطاء، وهي تجفف دموعها قائلة:

- ”لا يا يزيد أنا على ما يرام.. ولكن منذ هبطنا على هذا الكوكب المشؤوم، وروحي تنألم، هناك شيء شرير بشكل مروع يسكن هذا العالم، وكأنه متغلغل ومتجذر في كل شيء، كما أنني عاجزة عن تحديد مكان الثغرة، لأخرجنا من هنا.. شيء قاهر يمنعني، ولا قدرة لدي على تحديد مصدره.”

ربت على كتفها برفق، فجفلت، فمسحت على شعرها الناعم وقلت:

- ”هوني عليك يا نواره، ربما روحك مثقلة من كل ما مررنا به، أو أن عقلك مرهق ويتفاعل ببطء مع المتغيرات في هذا العالم الجديد.. فكل شيء حولنا طبيعي.. النجوم .. القمر - النسيم.. الأزهار.. الأرض غير الصناعية برغم كون ترابها أحمر اللون.. إننا لم نعد لعالمينا بالفعل، ولكننا في عالم طبيعي لا تسكنه المسوخ، ولسنا مهددين بالموت على مدار الساعة..

وعدم ظهور الثغرة يعني عدم ظهور المسوخ.. وهو شيء يدعوا للتفاؤل لا القلق.. وأي مكان سيجمعنا سويا سيكون جنتنا.. وهنا لن يختلف عن هناك ما دمنا معا“.

وهنا غرغرت عيناها، فلمعت بشكل ساحر، فصارت مع الحزن أكثر فتنة، وهي تقول مستنكرة:

- ”المسوخ هنا أكثر من أي مكان آخر يا يزيد، بل وأكثر وحشية.. إنني أشعر بها، وروحي تتمزق من هول ما تشعر به.. لا بد أن نعثر على مكان الثغرة لنهرب من هذا الجحيم بأسرع وقت.. لقد أيقظ حضورنا شيئاً مروعا.. شر خالص سحيق.. لا قبل لنا به.. غرائزي لا تكذب.. إنه شر مظلم.. مظلم بحق“.

أفزعتني ردة فعلها، فحالتها لم تكن بمثل هذا السوء، ونحن نواجه المسوخ

الدموية أسفل القبلة أو قبلها في عالمي.

حاولت أن أتفاعل مع مخاوفها، وأن أجاريها فيما يقلقها ويثير ذعرها، ولكن الطقس من حولي كان شديد العذوبة، ولا يوحى بتلك الأهوال التي تحاول تحذيري منها!!

وإن لم أستطع تجاهل خوفها وقلقها كلياً، فأنا بعد كل هذا الوقت الذي قضيته معها، تعلمت أن أثق في غريزتها وحدسها..

الشيء الذي يجبر نواره على البكاء، ويصيبها بكل هذا الفزع غير المعتاد، لابد وأنه يتخطى الحدود المعروفة للخطر، وعلي ألا أنتقص منه، أو أقلل من خطورته رغم جهلي بطبيعته أو تأثيره علينا، ولذلك، سألتها في قلق:

- "المكان من حولنا شديد الهدوء والعذوبة، فمن أي مكان ستأتي المسوخ هذه المرة يا نواره؟".

دمعة فسفورية لامعة تفر من عينيها، فتتجاهلها، وهي تتلفت حولها في خوف قائلة:

- "كل المسوخ تحيا هنا في قلب الظلام.. إنها قريبة.. قريبة بشكل لا يصدق".

صوتها مع ذعرها ودموعها، وحركتها القلقة الموحية، كان له تأثيرٌ دراميّ مروع على نفسيّتي المتداعية، فبدأ ذعر خفي يتسلل إلى روحي..

وعلى أثره تلفتُ حولي أمسح الظلام ببصري، دون أن أرصد ما تدعي وجوده، فعدت كاسف البال، محاولاً تغيير دفة الحديث، لأتفادى كم الطاقة السلبية التي بثها حديث نواره في عروقي وقلتي:

- "إنني أشعر بجوع هائل يا نواره، معدتي تحاول تعويض حرمانها من الطعام

الحقيقي خلال الأيام السابقة.. لنبدأ بالبحث عن مصدر للطعام، وبعدها نخوض في رحلتنا لتحديد مكان الثغرة، ولو تعقدت الأمور تمامًا، فلدينا وسيلة هروب مميزة، لنعد إلى آتوم“.

هزت رأسها في سخط وقالت:

- ”يبدو أنك أصبحت قليل التركيز مؤخرًا يا يزيد.. آتوم عندما منحنا مفتاح البوابة النجمية، منحنا فقط وسيلة أخيرة للخلاص والهروب، لو استخدمناها سنظل عالقين معه في بوابته النجمية إلى الأبد؛ هذا لو قدر لنا أن نصل إليها، إنها ليست وسيلة انتقال بل وسيلة نجاة أخيرة و..“.

صمتت لحظة كأنها تسترجع شيئًا ما تواريه في أعماق ذاكرتها، ثم استطردت قائلة:

- ”وما قرأته في عقله قبل أن نغادر، أخبرني أن أجسادنا ربما لن تتحمل رحلة جديدة إلى كونه الموازي المضطرب، إن خلايانا تتكيف بصعوبة على الانتقال عبر عوالم كوننا، لا بد من أن يتم الانتقال عبر الثغرة، وهذه المرة أشعر بعجز رهيب“.

الخوف عدوى.. والمشاعر السلبية عدوى.. ومع نواراة اكتشفت أن الشعور بالعجز أيضا عدوى..

وهذا ما قررت ألا أصاب به، فلا أعرف إن كانت مخلوقات عالمها تصاب بالاكئاب أم لا -

لكنها وبكل بساطة في طريقها إليه..

وهو شيء أعجز عن استيعابه، أكثر من الوحوش والمسوخ ونظريات العوالم الموازية.

فالمسوخ النفسية لا يمكن قتالها بسهولة، ولها الغلبة في النهاية، فكم فتك
الاكتئاب بأرواح معذبة.

لذا فإنني نهضت من مكاني على الفور، وجذبت نورة من يدها لتنهض هي
الأخرى، وقلت لها وأنا أتهدأ لأسحبها خلفي كأم تسحب طفلها الصغير المتمرّد:
- ”سنواجه كل مشكلة في حينها يا نوارتي، من يصدق أننا نجونا من كل
الأهوال التي واجهتنا، إننا مع قادران على هزيمة أي شيء، فقط علينا ألا نستسلم
لمخاوفنا“.

نهضت من مكانها، ونظرت في عيني، قبل أن تقول في قنوط:
- ”إنه مخيف يا يزيد.. أكثر شيء مخيف في العالم.. أكثر من الشيخ أبو الرجال؛
الذي أخبرتني عنه ذات مرة“.

كتمت ابتسامتي من طرافة وصفها، وتذكرها للشيخ الكفيف محفظ القرآن أبو
الرجال، الذي أرسلني أبي إليه ليحفظني القرآن، فمدني على الفلقة حتى تقرحت
قدمائي.

وظل أثر هذا الموقف في عقلي لفترة طويلة.. لذا قبضت على يديها بقوة، وأنا
أزرع عيني في عينها وقلت:

- ”ليكن ما يكون.. عليه أن يتخطاني أولاً قبل أن يمس شعرة منك“.

منحتني نظرة امتنان طويلة، ثم ابتسمت وهي تقبض على يدي برقة، ثم
قالت في اهتمام، وكأنها ككل الأطفال نسيت مخاوفها، وتبدل اهتمامها في لحظة:
- ”وماذا سنأكل الآن؟“.

شعرت براحة عظيمة من سؤالها هذا، فهو يعني أنها أخيرا اقتنعت بكلامي،
وقررت أن تتخطى حدود محنتها، وهذا مؤشر جيد..

حمدت الله على أنني لم أكن أمتلك أي من قدراتها الخارقة للمألوف لأتواصل
مع ذلك الشيء الشرير الذي يثير في قلبها كل هذه المخاوف.

لأنني وقتها كنت سأسقط في نفس الفخ النفسي الذي سقطت فيه، وساعتها
ربما عمدنا سويا إلى الانتحار.

طردت تلك الأفكار السوداء من رأسي، ثم أخذت أتفحص المكان المظلم من
حولي، والخالي من أي شيء يصلح؛ أن نكافئ به تلك المعدة المسكينة التي صمدت
لكل هذا الوقت..

هل نأكل الأزهار أم نبحث أكثر؟!

أنا مستعد أن أتناول الحصى لو أنه سيخرس نباح معدتي؟ ولكن من أجل
نؤارة فلأبحث أكثر.

ربت على بطني، وكأنني أطمئن معدتي المتقلصة، بأنني عدلت عن فكرة تناول
الحصى، ثم سحبت نؤارة خلفي.

الرائحة العطرية العضوية الغريبة التي تعبق المكان تعبت بعقلي ومشاعري،
لدرجة أنني أكاد أجثو على ركبتي وأطلب يدها للزواج..

أقاوم تلك المشاعر العجيبة، ذات التوقيت الأعجب، وأنا أسير بخطوات واسعة،
معتمدا على غريزتي وحاستي السادسة التي لا تتعلق إلا بالطعام، والتي لم تخيب
ظني يوما..

أفحص الحقول التي تغص بعشرات الأنواع من الزهور، لعلي أجد بينها ما هو صالح للأكل..

أتفادى تلك الفجوات العملاقة الممتلئة في كل مكان، والتي يخرج منها بخار حار، وكأن قلب الأرض يغلي، وهذا البخار يفوح بتلك الرائحة العضوية الزكية بشكل أكثر تركيزا، وكأنه فواحة طبيعية عملاقة.

الوقت يمر..

والأرض الترابية تنحسر بلونها الأحمر، لتظهر لنا أرض أخرى من الرمال الناعمة الصفراء التي صارت رمادية شاحبة بسبب ضوء القمر الفضي، فأفكر إما أنها صحراء قريبة، أو هناك من فرش الرمال تمهيدا لإنشاء شيء لا أعرفه..

لا رائحة لليود، فبالتالي لا بحر قريب، وهو شيء غير مؤكد فرمها البحر هنا له رائحة مختلفة..

أتخطى تبة رملية متوسطة الارتفاع، وأدور حولها، لأجد مساحات أخرى شاسعة من الحقول، بعضها محروث، وبعضها نبتت به بعض النباتات الكأسية ذات اللون القرمزي، والتي وصل ارتفاع بعضها لمتر كامل، والتي أخبرتني نواره أن لديهم شبيه لها في عالمها، وهي غير صالحة للأكل..

لذا تخطيتها جميعا؛ ثم واصلت رحلتي متحاشيا أن أسقط في تلك الفجوات العملاقة التي تنفث البخار العطري، ونواره خلفي شاحبة صامتة، تجرجر قلقها وخوفها معها، وتتلفت كل بضع دقائق حولها، حتى أصبحت أتحرك بتوتر وعصبية..

أنهكني السير، والضغط النفسي والعصبي الذي تمارسه نواره على روحي بصمتها وقلقها المتزايد، فوقفت لأستريح قليلا، وأنا أتأمل الأرض الخالية من النباتات التي انتهى إليها بحثي، وقد شعرت بياس عظيم..

كل هذا المجهود والسير ضاع هباءً..

وعندما هممت بالاستدارة نحو نواره، لأبدأ بإقناعها بالعودة وتناول الزهور،
لمحت على يساري حقل ذرة لا يبتعد عنا كثيراً.

عندما رأيته أجفلت، فتشبثت بي نواره في قوة كادت تصيبني بالأذى، عندما لم
تتحكم في القوة التي تتعامل بها مع ذراعي، وهي تقول:
- "ماذا هناك يا يزيد.. هل رأيت ما أفزعك؟".

يا إلهي إن حالتها تتدهور بالفعل!!

ولا أعرف ما الذي يثير خوفها إلى هذه الدرجة الهستيرية، إنها تمتلك قدرات
عظيمة مكنتها من مواجهة مسوخ الثغرة، فماذا يوجد هنا أكثر إفزاعاً، لتنهار بهذا
الشكل؟

كان علي أن أجيبها بسرعة، كي تخفف قبضتها القوية عن ذراعي الذي بدأ
يصاب بالخدر، فقلت وأنا أشير لحقل الذرة المتراصة أعواده بنظام مثير للتأمل،
والغنية بالثمار الشهية على مدى البصر:

- "لا شيء يا نواره لقد عثرت على مصدر للطعام.. وكان هذا رد فعل عفوي
بعد أن يئست من العثور عليه".

عقلها لم يكن في كامل تركيزه معي، وإلا لكشفت كذبي من اللحظة الأولى، فما
أثار خوفي حقاً..

هو حقل الذرة ذاته..

ففي لحظة لم يكن هنا، وفي اللحظة التالية أصبح ملء العين والبصر، وكأنها
نبت من العدم، ليحتل الأفق بالكامل..

التوتر أصبح سيد الموقف والمكان، لذا أقنعت نفسي بأن ما شعرت به هو مجرد هاجس جراء الإرهاق، وألاعيب الظلام والجوع، ولا داعي لأثير مخاوفي أو مخاوف نواراة أكثر.

أشرت لحقل الذرة، وعلى وجهي نظرة المنتصر، وقلت كشيف محترف، يحاول إبهار مشاهديه:

- "ستأكلين أحلى ذرة مشوية في كل العوالم".

ابتسمت نصف ابتسامة، وكأنها تجاريني، وقالت:

- "وحتى ولو كانت أسوأ ذرة في الكون، فمن يدك ستكون الأشهى".

تحيرت لوهلة من عبارتها التي لم أعرف إن كانت مدحا أم ذما، ولكني على كل حال تقبلتها منها، وتقدمت صوب الحقل الذي بدا لي طبيعيا لا لبس فيه..

وبعين محترف، أخذت أبحث عن كيزان الذرة الخضراء الطرية، وأنا أفكر أنه طالما هناك حقول ذرة فلا بد وأن هناك فلاحون، وهذا يعني أن هناك قرية قريبة.

سننتهي من طعامنا، وبعدها نكتشف هذا العالم الجديد.

نزعت أربعة كيزان من الذرة الناضجة، وأخرجتها من أغلفتها، ثم رصت أسفلها مجموعة من عيدان الذرة اليابسة، وبعض الأغصان الجافة، ووقفت أفكر في وسيلة لإشعال النار.

كنت أعرف أن هناك وسيلتان شهيرتان، لإشعال النيران في غياب القداحة والثقاب:

الأولى باستخدام حجرين صلبين، واصطدامهما ببعضهما البعض، فتنتج شرارة كافية لإشعال النار، وأعتقد أن حجر الصوان أفضل الوسائل لذلك، وإن كنت لا

أعتقد أنه سيتوفر في هذا المكان لمجرد أنني جائع.. كما أن البشرية توقفت عن استخدامه منذ العصر الحجري.

والثانية باستخدام احتكاك أحد الأغصان الجافة بقطعة من الخشب الجاف أيضا، فتتولد حرارة كافية لإشعال بعض الأعشاب، فتولد النار الكافية لإنضاج الذرة.

ولكن ما حدث تاليا، كان مرعبا.

فقد اشتعلت النيران من تلقاء نفسها في عيدان الذرة، والأغصان الجافة، مما جعلني أنتفض في مكاني، وقلبي يصرخ من المفاجأة.

الكوكب مسكون بالفعل..

ولم يكن هذا ما صدمني، على العكس فكل المؤشرات تؤكد، بل ما صدمني هو نوعية قاطنيه..

فإن كنت أتمنى من أعماقي العثور على أحياء على هذا الكوكب الغامض، فأتمنى أن يكونوا بشرا طبيعيين، أو مخلوقات ذكية متطورة لديها حضارة، لا سحرة، ولا مشعوذين خفيين، قادرين على إشعال النيران عن بعد، وإفزعنا بهذا الشكل.

لعنت من أشعل النار في سري، فقد فسدت على يديه كل جهودي، وعادت المخاوف لتحاصر نواره، وتثير ذعرها..

بل ومسني القلق بعصاته، فلم أعد خير معين لها، خاصة وأنها تستطيع الشعور بقلقي وتوترتي..

وليس مبشرا بالخير أبدا أن يستقبلنا قاطنوا هذا الكوكب بمثل هذه الألاعيب. نظرت للنيران بذعر ثم فحصت المكان من حولي..

كل شيء هادئ لا تغير فيه، والكوكب على صمته وكان كل من به أموات، وأنا
من أتوهم كل شيء..

أطيل النظر لأمسح الأفق البعيد بعينين قلقتين منزعجتين..

لا شيء على البعد سوى الظلام..

وبرغم أني حاولت أن أطمئن نواره، التي عاد الفزع يرتسم على ملامحها، إلا
أنها تجاهلتني، وأخذت تتلفت حولها في خوف، وهي تردد دون توقف، وبهستيريا
متصاعدة:

- "لابد أن نعثر على مكان الثغرة.. لابد يا يزيد.. الثغرة هي المهرب الوحيد..
إنه شر مستطير".

أخذت أرمق حقل الذرة بنظرة ثابتة، وكأني أطالبه بأن يظهر ما يخفيه.. فعاد
صوت نواره المذعور يصدمني أذني:

- "ثم لماذا هذا الصمت القاتل، لماذا لا نسمع أي أصوات لطيور أو مخلوقات
ليلية في المكان؟".

لم أجد إجابة شافية أمنحها لها، فمع كل هذه الحقول، وهذا الخير الوفير، لابد
على الأقل من صوت صرصور حقل، أو نقيق ضفدع، أو عواء ذئب أو نباح كلب،
أو هديل بومة، أو أي مخلوقات مماثلة تنتمي لهذا الكوكب العجيب..

أي شيء يبدد وحشة الليل الصموت هذا..

أي شيء حي يخبرنا أن هذا المكان آمن.

لقد أثار تساؤل نواره مخاوفي أكثر، وتوترت أكثر وأكثر عندما أدركت مع
تواصلنا التخاطري أن عقل نواره الباطن يلوذ بي..

حاولت مساندتها، فتشعبت أنا - للأسف - بمخاوفها التي كانت تتعاضم مع الوقت..

ثم ارتج كياني وغشيني خوف عظيم، عندما صرخت في قوة، وكأنها تعاني أو تصارع شيئاً خفياً لا أراه:

- "الآن أعرف من فعلها.. أعرف من أشعل النار؟".

نظرت لها في دهشة وقلت:

- "من هو.. وكيف عرفت ذلك؟".

رفعت كتفيها لتعبر عن جهلها وقالت:

- "الإجابة جاءت إلى عقلي وحدها كطعنة خنجر سام.. إنه كيان خارق.. شمظلم.. مروع.. بارد.. تواصل معي للحظات قبل أن أفقد هذا الاتصال، إنه مخيف يا يزيد مخيف لأقصى مدى.. الشيخ أبو الرجال بجواره حمل وديع".
لم أبتسم لطرافة وصفها هذه المرة، بل شعرت بقلبي يدق بعنف، فسألتها في هلع:

- "وما هي هذه الإجابة يا نورة؟".

تطلعت حولها بخوف، وحركت مقلتيها لأعلى، وكأنها حائرة في معرفة التوصيف الصحيح لهذا الشيء الغامض الذي تواصلت معه، ثم قالت بصوت مضطرب:

- "إنه العفريت".

إجابتها كانت صادمة، وغير متوقعة، فكتمت أنفاسي للحظة من المفاجأة وغرابة المعلومة، ثم أطلقت ضحكة عصبية هستيرية طويلة أفرغت فيها توتري وقلقي، ورددت كلمتها الأخيرة متسائلاً بسخرية:

- "العفريت؟".

تجاهلت سخرיתי التي أثارت ضيقها، وهزت رأسها في دعر حقيقي، لتؤكد على معلومتها ثم قالت:

- "نعم إنه العفريت يا يزيد.. عليك أن تصدقني.. لابد أن نهرب قبل فوات الأوان".

وهنا أسقط في يدي..

وأدركت أن الأمر يخيفها بشكل هستيري، وأن ردة فعلي معها، كان على عكس المتوقع منها..

اللفظ نفسه هو ما أثار حفيظتي، فليس بعد كل هذا الهلع والتوتر، يكون الشر على هذا الكوكب مجرد عفريت، إنه شيء لا يخيف من عاش في المقابر، وتعامل طوال حياته مع الجثث والموتى..

العفريت!!!

أعرف أنها دوما ما تنتقي مفردات مشتركة للحديث بيننا، وكان من الممكن أن تختار لفظ الشرير الذي اعتادت استخدامه.. ولكن التحديد جعل الأمر بالنسبة لي كالنكتة غير المتوقعة..

ردة فعلها توضح لي أنها لا تمزح، وهذا أجبرني على أن أتعاطى مع الأمر بجدية أكبر..

في صغري كنا نطلق على كل غامض ومخيف لفظ (العفريت) ربما هذا ما كانت تعنيه، وما واجهته أنا بسخرية وتسفيه.

الخوف المرتسم على محياها أثار شفقتي عليها، فظهرت لعيني كطفلة تحتاج للحماية، لذا كسوت وجهي ببعض الجدية الزائفة وقلت:

- ”في عالمي كنا نخيف الصغار بهذا العفريت، ولكنه لم يظهر لهم ولو مرة، إنه غيب ومجهول لا حقيقة متجسدة، يمكنها الحضور بسهولة“.

تجمدت نظراتها للحظات، ووجدتها تقول ببطء:

- ”وهنا.. يخيف العفريت الكبار أيضًا، ويظهر لهم دوما، وربما يلتهم أرواحهم كذلك.. هنا يمكنك أن ترى العفريت ويراك.. ويمكنه التجسد والحضور بسهولة“.

وعلى أثر كلماتها، سرت في بدني قشعريرة باردة، وتكاثف جليد الخوف فوق عمودي الفقري، ولأتغلب على الموقف الموتر للأعصاب قلت، وأنا أجثو بجوار النار المشتعلة وأقلب كيزان الذرة بغصن جاف:

- ”ليكن جنا أو عفريتا أو حتى شيطانا يا نواره.. إن كان يريد الفتك بي، فلن يحظى بي جائعا“.

لم تجبني نواره، فأخذت أقلب الذرة لبعض الوقت حريصا على ألا تحترق مني فأزيد الطين بلة، عندما سمعت جلبة عالية وصوت تفريغ هواء سريع، مع صرخة عاتية من نواره، فاستدرت بكل كياني أبحث عنها، وأنا أحمل الغصن المشتعل في يدي كسلاح هزيل مرتجل، فلم أعثر لها أي أثر..

لقد اختفت نواره!!

اختفت، وكأنها انشقت الأرض وابتلعتها.

وعندما صرخت باسمها..

تردد صدى صوتي في الكوكب الصامت، ثم زلزلت كياني، وجمدت الدماء في
عروقي.. ضحكة باردة ماجنة كريهة..
وهنا أدركت أن العفريت شيء حقيقي..
وتهديد قائم.
وأنه قد حظي بأول ضحاياه..
ضحية فاتنة تدعى نواره.
وللمرة الثانية منذ التقينا، أشعر بأنني فقدتها، وربما إلى الأبد.
وهذه المرة كنت خائفا..
خائفا بحق.

بفم مليء بالذرة، وقلب محترق، وقفت مترددا أمام مدخل البلدة ذات البوابة
المعدنية المرتفعة، التي لا تختلف كثيرا عن بوابات القلاع المدرعة القديمة، والتي
تمتد أسوارها الحجرية السميقة إلى قلب الظلام الكثيف الذي يغلف كل شيء
حولها بشكل مريب، دون أن يقع بصري على حارس واحد يقوم بمهمة حراستها
أو الدفاع عنها.

وبرغم أن عدم وجود حراسة يسهل مهمتي، إلا أنه يدعو بشكل كبير إلى القلق
والارتياب، ويفتح باب الخيال والأفكار السوداء عن مصيرهم وسبب اختفائهم.
وهذا جعلني أتأمل البوابة المعدنية العملاقة برهبة، ثم أرمق الظلام الذي
أصبح أكثر كثافة خارجها بتهيب، وأعبرها وأنا أتلفت حولي بحذر، وقلبي يخفق في
قوة، متوقعا أن ألقى بنفسي، وبارادتي إلى فخ مهلك.

الصمت المريب يمتد إلى الداخل، ومازالت ضحكة العفريت الباردة الماجنة
تلقى صداها الكريه في روحي..

تلك الضحكة التي لم تصل إلي من خلال قناتي السمعية، بل من خلال خلايا
عقلي المنهك المستهلك، والتي تدل على أن هناك شيء شرير.

وقادر.

ومطلع.

يسكن هذا المكان، ويتربص بنا منذ وطأت أقدامنا هذا الكوكب الملعون..
وهذا الشيء الشرير المختبئ في الظلام، والقادر على التواصل العقلي وإشعال
النيران عن بعد، غافلني واختطف نواره، وعلي أن أستعيدها مهما كان الثمن.
لذا قررت أن أركز بحثي في تلك المنطقة المجاورة للبوابة، فلم أكن أرغب في
الابتعاد كثيرا عن المدخل، لعل نواره تتمكن بوسيلة ما الوصول إلى البلدة واللاحق بي.
وبكل حذر بدأت رحلة البحث التي لم تكن بالصعوبة التي توقعتها، فكل شيء
في البلدة منظم بشكل بارع.. الشوارع والمباني، وإشارات المرور، والحدائق.. كل
شيء تم تصميمه بدقة هندسية عالية..
ومع كل مكان أقوم بتفتيشه كنت أصاب بحالة مضاعفة من الإحباط، ويتسرب
اليأس إلى روحي.

أبراج الحراسة خالية..

والحدائق لا أثر لمخلوق فيها.

والبنايات مغلقة ومظلمة وصامتة.

لا أثر للحياة في ذلك الجزء من البلدة، وكأنها من المدن الجديدة التي لم تسكن
قط، أو لم يتم افتتاحها بعد..

لذا جلست على مقعد حجري مقابل لنافورة مياه جافة.. تتوسط الميدان
الفسيح الذي انتهى إليه بحثي، وبدأت في التهام كوز جديد من الذرة الخضراء
الشهية.

إنه الكوز السابع الذي أنهيه في وقت قياسي!!

ألم أخبركم أنه منذ غادرتني نواره، وقد سيطر على كياني جوع وحشي رهيب،
عزوته لتلك التحولات المجهولة التي يموج بها جسدي..

لم يكن جوعا طبيعيا، لدرجة أنني أنهيت كيزان الذرة المشوية التي تخصني،
ثم أجهزت على التي تخص نواره، بل وحملت معي بعض كيزان الذرة الخضراء
الإضافية، والتي كنت أتناولها بنهم غير عادي دون أن أزعج نفسي بشيها.

استهلكت مني رحلة الوصول إلى البلدة ساعة كاملة، لم يقابلني خلالها كائن
حي واحد، وهو شيء ما زلت عاجزا عن تفسيره..

فهل هذا هو كوكب النباتات؟!

ولو كان!!

فهل النباتات تبني بلدانا، وتحيطها بالأسوار الحجرية، وتصنع لها بوابة
معدنية ثقيلة، كالتي عبرتها أثناء دخولي؟

في الأمر سر مريب..

وربما لو حللته لوصلت لنواره..

قررت أن أواصل رحلة بحثي لأعماق البلدة، فنهضت من مكاني، وجعلت
الميدان خلفي، وتحركت للأمام عبر الشارع الرئيسي، متخطيا ملعب كرة قدم
مهجور، ليدهمني على الفور إحساس غير مريح بأنني مراقب.

زاد هذا الإحساس المقلق من توترتي، وحذري، وأنا أقوم بفحص مجموعة المباني
التالية التي كان يحيط بها سور خشبي نصفني، مهتديا بضوء القمر الشحيح..

جميع المباني متشابهة بشكل غريب، وتظهر لعيني وكأنها تشع ظلام ثقيل
كالذي يحيط بالبلدة.

الشوارع الجانبية ضيقة ونظيفة، كالشوارع الرئيسية، وكأن هناك من يعنى
بها، ويحرص على نظافتها هي الأخرى.

لا لوحات إعلانية ولا أي رسوم أو نقوش تدل على طبيعة المكان..

أعرف أنني لو وجدت لوحات أو كتابات بلغة كونية غريبة، قد لا أعلم
فحواها، أو ما تشير إليه، وإن كانت، فستكون مقياساً يدلني على أي درجة من
السلم الحضاري وصل إليها قاطني الكوكب.

فهل هذا كوكب لا يعرف الكتابة أو الفنون؟

أتمنى أن يكون هذا هو أسوأ ما في المكان.

أتلفت حولي في قلق غير مبرر..

الشعور الثقيل بأني مراقب يتأصل بأعماقي..

أنظر خلفي على حين غرة، لا أثر لأي مخلوق، أو صوت يدل على وجود أحياء
أو أي نشاط يمارس في هذا المكان الصامت، وكأنني وقعت في طريق بحثي على
بلدة مهجورة تسكنها الأشباح.

أتفادى فجوة عملاقة تضخ البخار العطري العضوي في فضاء المكان، ويعبق
صدري برائحتها العذبة..

ما سر هذه الفجوات الغريبة؟!

لا إجابة.

أتعمق أكثر في البلدة، التي تتكرر شوارعها ومبانيها بشكل مستفز، يدل على
فقر في قريحة من صممها.

أعبر من شارع إلى ميدان ومن ميدان إلى شارع، إلى أن أصل إلى نفق ضيق
ينتهي إلى منطقة شاسعة خالية من المباني أو الشوارع، يلتهم الظلام أطرافها حرفياً
في مشهد مروع..

أقف أتأمل الظلام الزاحف نحو مباني ومنشآت البلدة، في ذعر متصاعد تحول
مع الوقت إلى هلع حقيقي..

موجات هائلة من الظلام تتحرك ببطء وثقة من جنوب البلدة ك تسونامي
ثقيل، ويسحق كل ما يعترضه ويبتلعه بأعماقه في مشهد مروع، وكأن للظلام كيان
مادي ملموس.

مبنى من عشرة طوابق يحيط به الظلام، ثم في لحظة واحدة ينضغط ويتفجر،
ويذوب في قلب الظلام، الذي يواصل مسيرته المخيفة..

إن هذا الظلام شر مطلق..

شر متحرك..

لابد وأنه يراقبني الآن ويتربص الوقت الذي أغفل فيه ليلتهمني كما التهم
البلدة..

هل يمكن أن يكون قد التهم نواره؟

لا شيء يدل على الأمر ولا شيء ينفيه!

إن البحث عن إبرة في كومة قش أسهل من البحث عن نواره في هذا الكوكب
الميت..

ترى كم سيمضي من الوقت قبل أن يبتلع كامل البلدة، ويلتهمني..

أرمل الظلام الذي كان يصدر صوتا كفحيح الأفعى كلما سحق بداخله

أحد المباني، لينقبض قلبي في قوة، ولا أعرف إن كان صوت الصراخ والنحيب

الذي تردد في عقلي حقيقيا أم لا..

الظلام يتقدم بثقة نحوي، فلا أجد بدا من الفرار، فأعبر النفق عكسيا، وكل

أمل بداخلي يتبخر..

أجفل بعد مروري بالميدان الأخير، وأتلفت حولي..

ذلك الشعور المستفز بأني مراقب يثير أعصابي، فلا مؤشرات تدل على وجود من يقوم به..

أعود من نفس الطريق الذي قدمت منه، لن أتوه بالطبع رغم تشابه المباني لأنني أسلك طريقا واحدا مستقيما، فلست بالحماقة الكافية التي تجعلني أتحرك في دوائر، أو بطريقة عشوائية فكفاني ضياعا.

أعيد تأمل البنايات الساكنة، فيخبرني عقلي المنهك أنه لا يمكن أن تبني نفسها بنفسها، وأن من بناها شخص عاقل، ويمتلك الذكاء والمعرفة أيضا.

وإن ظل مسيطرا على تفكيري أن هناك شيء خاطئ في هذه المباني لا أدري تفسيره.

لابد من العثور على نواة، قبل أن يلتهم الظلام البلدة ويلتهمني.

هل أبدأ بطرق الأبواب؟

لقد أجلت الأمر متعمدا، لعل من بداخلها يفصحون عن أنفسهم دون تدخل مني، ودون أن يزعجهم وجودي أو تطفلي؟! فزوار الليل غير مرحب بهم في كل مكان.

وربما كان قاطنوها من النوع الفظ، أو أنها تحتجز خلفها مسوخ هذا العالم وأشراره، فقد يشبه هذا العالم عالمي في الكثير من تفاصيله، إلا أن مخلوقاته قد لا تشبه البشر..

إن السيناريو الوحيد لكون كل هذه الشوارع خالية، والأبواب مغلقة - غير أنهم أموات - هو أنهم مختبئون، من شيء يفزعهم.

وربما هو نفس الشيء الذي أفزع نواة وأطلقت عليه لقب العفريت، وهذا يعني أنني وحيد في مواجهة هذا الخطر المجهول.

وقفت في منتصف المكان حائرا، قضمت قضة أخيرة من كوز الذرة الثامن ثم ألقيت بقاياها على مدى ذراعي لئبتلعها الظلام، وعندما انتهيت من ابتلاع الحبات الشهية، قررت أن أسلك طريقا آخر في البحث، فصرخت بكل ما في أحبالي الصوتية من قوة:

- "نواره.. أين أنت؟".

لا شيء إلا صدى صوتي..

"نواره.. نوارررررة".

أصرخ بها حتى بح صوتي، ولا إجابة..

لا مناص من طرق الأبواب مهما كانت العواقب، فأني شيء سأخسره أكثر بعد أن فقدت نواره؟، كما أن الظلام لا يمنحني رفاهية التردد، بالإضافة إلى أنني قمت بإزعاج يكفي لإيقاظ الموتى من قبورهم، وأعلنت عن وجودي بكل حماقة.. فلا مانع أن أكمل حماقتي لعل يكون لها جدوى.

لذا تجدونني أقف أمام المنزل الأول الذي قررت البدء به، أتأمل طريقة بنائه، وطلائه، وبابه ونوافذه، محاولا إقناع نفسي بأنني لست في قريتي، أو إحدى القرى القريبة منها..

صحيح أنه لا يوجد تطابق في التصميم أو طريقة البناء بين هنا وقريتي، ولكن النمط متشابه، بطريقة تثير التساؤلات والشكوك على كون مصدر البناء واحد. كل شيء في المكان يبدو وكأنه من صنع البشر، وإن لم يظهر البشر أنفسهم في أي مكان.. كما أن هناك شيء خاطئ لم يحدده عقلي بعد، ولكنه مازال يحاول كشفه.

بوووم.. بوووم.. بوووم.

أطرق الباب، ثلاث طرقات على استحياء، فيدوي الصوت كقرع طبول مجوفة وسط صمت المكان، فيرتج رأسي من المفاجأة والصوت الشديد الارتفاع الذي ولا بد قد وصل لكل أرجاء البلدة الصامتة.

الصوت الناجم عن الطرقات مبالغ فيه، ولا يتناسب مع قوة خبطات يدي على الباب الخشبي، الذي يختلف ملمسه عن أي خشب رأيته من قبل..

هو فقط يشبهه في الشكل لا في الخصائص، وهذا يحيلني إلى أن هناك نوع من الافتعال في كل الموجودات من حولي، كالفرق بين البضاعة المقلدة والأصلية، تشبهها تماما ولكنها تختلف عنها بشكل جذري.

بوووم..

طريقة وحيدة، أقل قوة، ينجم عنها نفس الصوت الهادر.

هل المكان مجوف من الداخل؟

الطريقة التالية لم يصدر عنها أي صوت.. فقط اهتز الباب، ثم انفتح على مصراعيه، لأرى خلفه ذلك الظلام المخيف الذي داهمني تحت القبة الملعونة، والذي فررت منه على أطراف البلدة..

الظلام الحي..

الظلام البارد السرمدي الذي لا نهاية له..

لقد سيطر الظلام بالفعل على كل البلدة..

إنني في موقف لا أحسد عليه، وأعتقد أنني لو رأيت العينين الشيطانيتين اللتين كانتا ترمقاني بكراهية أسفل القبة العازلة عندما انهار جسدي، وحاول الظلام السيطرة على وعيي، لربما أصبت بأزمة قلبية حادة، ومِت في حينها.

والعجيب أن الصوت الرهيب الكريه، الذي كان يحثني على الاستسلام بدأ يتسلل إلى عقلي مجددا ليسيطر على كياني.

وهنا تذكرت آتوم الروبوت الشيطاني الحي، وهو يقول:

- "وجودكما في قبة الاحتواء، كان يمنع تلك القوة السوداء الرهيبة، من جذبكما إلى عالمها الرهيب".

.....

- "ونحن غادرنا القبة.. يا إلهي.. أي نحس هذا؟؟".

أرددها بيني وبين نفسي، وأنا أفكر، هل يكون هذا الصمت الذي يغزو الكوكب نتيجة استيطان تلك القوة السوداء له وإفنائها لسكانه؟

هل هذا الظلام المتماوج الذي يغزو البلدة، هو تلك القوة السوداء التي تثير فزع آتوم، أم أن وراءه قوة أعظم تحركه؟

هل سيكون مصيرنا كمصير سكانه، أم...؟!

أين الجثث؟

ما مصير نواره؟

أصرخ باسمها في لوعة وأنا أواجه الظلام المتحرك، فيرتج عقلي بصوتها المذعور، وهي تصرخ:

- "لا تجعل الظلام يبتلعك كما ابتلعني يا يزيد.. العالم هنا مخيف أكثر من ألف أفعى".

مجرد أن أيقنت أنه صوت نواره، لم أستطع أن أتمالك نفسي، وفرت الدموع من عيني، وأنا أنظر بشدة للظلام المتماوج، والذي بدا لي، وكأن الصوت ينبعث من أعماقه، وصحت في لهفة:

- "إن كنت قريبة فأظهري نفسك يا نواره.. إنني أموت قلقا عليك".

صرخة هادرة مصدرها نواره تمزق أعصابي، وتهز كياني هزا، فينتقل الذعر إلى روحي، وأترجع إلى الخلف متقهقرا عدة خطوات وعيناي على الظلام الحي، الذي يهوج كبحر ساخن من القطران..

أصرخ مناديا نواره..

لا إجابة.

أصرخ متسائلا:

- "ماذا أفعل يا نواره.. ماذا أفعل؟".

لا إجابة..

تدوي في رأسي الفكرة..

الصوت كان ينبع من قلب الظلام الحي، كما أن نواره لم تتواصل معي، إلا بعد أن واجهته..

أعرف أن نواره حذرتني منه، ولكن لو كان تحذيرها جعلني أتردد للحظة، فصرختها التي شقت قلبي، قد حددت قراري وموقفي..

صحيح أن الظلام الحي يثير ذعري لأقصى مدى وهو يفور كبركان من النيران السوداء، إلا أنني لن أترك نواره تواجهه وحدها، أو أتخلى عنها مهما كان الثمن أو التضحية..

وبأقدام من هلام، وقلب وجل، تقدمت نحو الظلام الكثيف، فانشق قلبه على هيئة ممر معتم لا نهاية له، وعندما هممت بالغوص خلاله ضج رأسي بصوت لم أميز صاحبه، ولكنه ألهب خلايا عقلي:

- "لا تفعل.. وانتظر الضوء".

لا أعرف كيف حددت اتجاه صاحب الصوت العقلي المؤلم الذي لم يكن بالطبع صوت نؤارة، ولكنني بتلقائية وجدتني أتلقت نحو اليسار، وقبل أن يستقر بصري على الاتجاه، لمحت شبحا داكنا يتوارى خلف أحد المباني الذي بدأ الظلام يحيط بها، فركضت خلفه بأقصى ما تستطيع قدماي من سرعة، وعندما وصلت للمكان وجدته خاليا، صامتا، لا أثر لمخلوق فيه.

إنها ليست هلاوس أو تخيلات.. لقد سمعت الصوت، ورأيت الظل الداكن يتوارى خلف المنزل بالفعل..

- "لا تفعل.. وانتظر الضوء".

الصوت المؤلم مجددا، يؤكد لي أنني لا أهلوس ولم أجن بعد، ولكنني هذه المرة لم أحدد اتجاهه..

- "لا تفعل.. وانتظر الضوء".

أجيب الصوت بغضب هادر:

- "اللعنة عليك وعلى الضوء".

لم يرد علي الصوت فأخذت أتلقت حولي، وأبحث عن أي شيء يصلح كسلاح، وبالطبع لم أجد، فوقفت بعجز في تأمل المكان في تحفز.

عقلي يتشتت من جديد.. هناك شيء خاطئ في كل ما أراه، وكأن عقلي يعمل بطريقة معكوسة، فيتجاهل الخطر المحيط بي، ويركز في أمور فرعية..

وكالتائه بقلب محيط، والذي لمح من على البعد ضوء الفئار، وجدت نفسي، أردد كلمة واحدة..

معكوسة..

نعم كل شيء حولي معكوس..

اتجاه الشوارع.. القمر في السماء.. مفصلات الأبواب.. البنايات نفسها.. وربما
لو كنا بالنهار.. لأشرفت الشمس من المغرب..
لقد أدركت سر المكان.. إنه كوكب معكوس..
وربما الكون الذي يحتويه كله معكوس..
لأبد وأنها معلومة مهمة لأن عقلي أجهد نفسه في معرفتها.. وأنا فقط من لا
يدري فائدتها حتى الآن..

صوت نورة يؤكد استنتاجي:

- "كل شيء هنا غريب وموّم.. أشعر وكأنني أرى كل ما حولي كانعكاس على
سطح مرآة.. المكان يشبه عالمي إلى حد كبير.. ولكنه مخيف.. مخيف بشكل
مروع.. إنني أشعر بوهن رهيب.. وأشعر أنها النهاية يا يزيد..".
صرخت بشدة:

- "نورة.. أين أنت.. أجيبيني بالله عليك".

صمت عقلي مدّ لهم، تلا عبارة نورة، جعلني أنوح كالثكالي:

- "لقد ذهبت نورة.. ذهبت نورة".

كنت أردد عبارتها الساذجة، ودموعي تهطل بلا توقف.. وشعوري بالعجز
يتفاقم، وأنا أتساءل:

لماذا لم يأخذوني أنا مكانها، ويمزقوني إربا لو أرادوا؟

لماذا هي؟

لماذا؟!!

ومن أعماق عقلي دوى الصوت اللاهب البغيض:

- "لو لم تنصت لي فستلقى نفس المصير".

أتلقت حولي دون جدوى..

إنني أعمى في هذا الظلام..

من صاحب هذا الصوت الكريه، ولماذا لم يختطفني كنوارة مباشرة، أم أنه

مستمتع بلعبة القط والفأر هذه؟

ثم ما الذي رأيته نواراة لتصف عالمها بالملخيف؟

وبكل ما بأعماقي من يأس صرخت باسمها:

- "نواررررررة".

وهنا دوى الصوت اللاهب في عقلي:

- "لقد ابتلعها الظلام.. ومن يذهب هناك لا يعود".

صرخت بصوت يهوج بالقهر والعجز:

- "من أنت أيها اللعين.. كف عن ممارسة لعبة القط والفأر هذه.. ولو كنت

رجلا أظهر لي نفسك.. وواجهني وجها لوجه".

وهنا وجدت الهواء من حولي يتموج ويتلأأ بشكل مبهر، ثم شعرت بقوة

هائلة تطيح بي لأسقط أرضا، قبل أن يتجسد أمامي أبشع كائن حي يمكن أن تراه

في حياتك.

عيناه الدمويتان المستعرتان بالغضب، أوصلا لي الرسالة كاملة..

أنت هالك..

تجمدت من الصدمة في مكاني، وشعرت بأن قلبي سيتوقف من الرعب، وأنا

أتأمل في فزع ذلك العملاق الذي تحديته وأثرت حفيظته منذ لحظات، وقد تجسد

أمامي غاضبا متحفزا..

إنها لحظة النهاية الحتمية..

هي فقط أتت مبكرا قبل أن أفهم سر هذا الكوكب الصامت، وقبل أن أعرف
مصير سكانه، والأهم - مصير نواره.

لقد وضعت نفسي في موقف قاتل شديد التعقيد.

لا يمكن حتى في أسوأ كوابيسي، أن أتخيل نفسي، أقاتل هذا الكائن العملاق
الذي يكاد ينفجر جسده من كثرة ما به من عضلات سوداء، والذي يتخطى طوله
الثلاثة أمتار، والذي تنتهي ساقاه المشعرتان بحافرين أسودين، وتشتعل عيناه
بضوء دموي مخيف، وله وجه غول كثيف الشعر، وقرن عظمي حاد أسود اللون
في منتصف جبهته.

إنها النهاية التي لا تحتاج لمقدمات..

طال صمتي، بعد أن تبخرت الكلمات من عقلي، فعاد صوته اللاهب يدوي
في رأسي:

- "إنك شخص عنيف بشكل كبير.. وهذا لا يحفز على مساعدتك.. ها أنا
أمامك وجها لوجه فلنرى ما أنت فاعل؟".

لم أتحرك من مكاني قيد أنملة، ولم أنبس ببنت شفة، فعاد صوته ليصعق عقلي
قائلا:

- "لتعرف قدرك أيها الكائن التعس.. لولا أنني أشعر بمقدار معاناتك، لكنت
الآن كومة مفرية من اللحم والعظام.. إنني أخطر بالكثير لأحذرك.. عليك أن تقدر
المعروف.. كما أن عليك أن تعرف، أن عشيرتنا مخلوقات مزدوجة الجنس.. كل منا
يحمل بداخله صفات الجنسين، الذكور والإناث.. ولسنا وحيدى الجنس كنوعك كما
استقيت من ذاكرتك، ولا نتفاخر بهويتنا الجنسية مثلكم، أنا هنا الخير لا الشر كما
يوجهك تفكيرك الأحمق".

أعاد حديثه بث الحياة في دماي التي تجمدت بداخل عروقي، وأعاد عقلي الذي توقف ليندهش! فإن كان هذا الغول الأسود وحيد القرن، هو الخير على هذا الكوكب الملعون.. فكيف يكون الشر إذن؟

ثم هل كل شيء في هذا الكون معكوس، والجميع يلعبون أدوار بعضهم البعض بهذا الشكل البغيض؟

هل سيحمل الشر على هذا الكوكب الصامت الكريه ملامح ملائكية، أم أن هذه الملامح الشنيعة للخير هي ذاتها الملامح الملائكية، والقادم أكثر قبحا وشناعة!! بالطبع وصلت إليه أفكارى، وانطباعى عنه، فصعقني صوته الملهب:

- "الخير والشر في الكينونة.. وأنت أيها المخلوق التعس.. كل كينونتك شر.. ليس عليك أن تخشاني.. أنا الذي لا بد وأن أخشاك.. فأنت تبث حولك الشر، وكأنك نجم نزق غاضب.. وأرى أنك تستحق المصير الأسود الذي ينتظرك.."

وهنا وجدت نفسي أفكر:

هل ما يحدث يحدث حقا؟

هل أنا بالفعل على سطح كوكب غريب، في كون مجهول، اختطفت حبيبتى على يد قوة سوداء شريرة، أطلقت عليها لقب العفريت قبل اختفائها، وأقف بقلب بلدة صامتة خالية من الأحياء، وأمامى غول بقرن أسود وحيد في منتصف جبهته، يحاورني بطريقة شبه متحضرة، ويحاول إخباري أن مصيري أسود ونهايتي حتمية؟

كل هذا برغم جنونه..

صحيح..

كل هذا أقابله بصمت رهيب..

جسدي ي موج بطاقة رهيبه، وأشعر به يتشبع بكل السواد المحيط بي..
لن ينتج عن هذا التحول خير أبدًا..
لم أعد متفائلًا..

دارت كل هذه الأفكار في عقلي، وقرأها الغول وحيد القرن، الذي وقف يرمقني
في صمت قبل أن يقول بغلظة:

- "أنا لست الغول وحيد القرن أيها التعس.. أنا (شاريك) من عشيرة (الشاك)
نحن أسياذ الظلام وأبناء الضوء.. أنا لا أرغب في إيذائك.. ولكني قد أفعل.. أنت
تحمل بداخلك ظلاما عظيما..

الموت يفوح منك وكأنك مقبرة عمرها ألف دهر.. أتيت لتزيد نحس الكوكب..
وتزيد معاناتي.. إن نهايتك لن تكون بيضاء أبدًا".

لم أعرف بما أجيبه، فتجاهلت ما يحدث بداخل جسدي، وتطفله على عقلي،
وقلت:

- "أنا لا أحمل لك أو لأي مخلوق أي شر، أنا فقط أبحث عن نواة التي
اختطفها العفريت".

أجاب بسرعة:

- "حتى وإن كنت لا تقصد أن تحمل الشر لأي مخلوق، ولكنه بأعماقك..
أنت كارثة على وشك الحدوث، إنك تحمل العلامة التي يرغب بها (الأرضي) ساكن
العالم السفلي.. العفريت كما تطلق عليه".

قلت بسرعة:

- "هل يمكن أن تساعدني في القضاء عليه، وتساعدني في أن أستعيد نواة من
قبضته الغاشمة؟"

ظهر الحزن والإحباط على وجهه المخيف، ولوح بقرنه الأسود وهو يقول:
- "هل تعرف أي حضارة كانت تصول وتجول في العالم العلوي لكوكبنا.. هل
تدري لأي مدى وصلت عشيرتنا من تقدم وتطور وقوة؟

هل تدري كم تبقى منهم؟".

منحته نظرة متسائلة، فاستطرد:

- "لم يتبقى من مُلك (الشاك) وجيوشه، وحضارته إلا أنا".

رددت في ذهول:

- "أنت فقط.. ماذا حدث للآخرين؟".

صعقني الرد برغم أنني توقعته:

- "فتك بهم الأرضي (العفريت)".

وهنا كان فضولي وخوفي قد بلغ مبلغه فسألته:

- "منذ متى وأنت هنا وحدك؟".

شعرت به ينتهك ذاكرتي قبل أن يقول:

- "سبعمئة وثلاثة وأربعين عاما بتوقيتكم".

الذهول من جديد:

- "هل أنت وحيد وسط هذا الظلام كل هذا الوقت، ولماذا تركك العفريت حيا

حتى هذه اللحظة؟".

هز قرنه الوحيد وقال في آسى:

- "ربما لا يعلم أن هناك من تبقى من نسلي حيا، أو هو يتركني عامدا متعمدا..

لا أعلم.. ربما هو يتسلى بعذابي.. لقد مرت عشر دورات تكاثر دون أن أنقسم..

لأنني عاجز على الوصول للنصف المداري من الكوكب، والذي يواجه الشمس الزرقاء، التي تحفزنا على الإنجاب.. إنه يبسط سلطانه على كل شيء، لقد فشلت كل محاولاتي للوصول إلى المدار.. إنه عقاب قاس تقبلته بأريحية.. لأنه قد يكون جزءا من قدري لألقاك فأحذرك“.

أدرت المعلومات في رأسي ثم قلت:

- ”وما جدوى التحذير أيها البائس؟“.

أجاب بسرعة:

- ”على الأقل لن يبقى أي منا وحيدا“.

صحت بسرعة:

- ”ولكنني لن أترك نواره وحدها في قبضته“.

أجاب بغضب:

- ”ولكنك لا تملك لها شيئا“.

رمقته لفترة طويلة، ثم قمت بأكثر الأشياء حماقة في الكون، وأنا أقول بعناد

وغلظة:

- ”سأحاول على الأقل“.

لابد وأن عينا ذلك الغول وحيد القرن قد اتسعتا من الدهشة، وهو يراني

أستدير، وأركض نحو البيت الذي رأيت بأعماقه الظلام الحي، وألقي بنفسي داخله،

وأنا أصرخ في جنون:

- ”إنني قادم من أجلك يا نواره“.

وقبل أن يبتلعني الظلام الحي، شعرت بالصوت اللاهب في عقلي يقول:

- ”أنت أحرق أيها المخلوق التعس.. إنك لن تواجه الأرضي فقط، بل ستواجه

أعتم مخاوفك.. أتمنى لك أن تموت سريعاً.. وألا تكون دورة عمرك أطول من
اللازم.. فبرغم حماقتك وغرورك أنت أقل بكثير مما ستواجهه.. ولكنه قرارك..

لم أبال بما قال، فكل ما كان يشغل تفكيري هو نواره..

وبينما الظلام الحي يبتلعني، وصوت الغول وحيد القرن يتلاشى من عقلي..
دوت في عقلي تلك الضحكة الماجنة الصاخبة..

ضحكة الشيطان الأرضي.

ضحكة العفريت.

ثم ابتلعني الظلام.

الدخان يتصاعد مني،
وأمد يدي المقطوعة؛
لأمسك بأعضائي المبعثرة من جُسوم عديدة..
فلا أجدها..

أبعد من التماهي: للشاعر محمود درويش.

لا تدخل البلدة

- 1 -

بقلب الظلام الذي كان يفور، ويمور، شعرت بأعتى مشاعر الانتهاك، والاعتداء التي من الممكن أن يتعرض لها كائن حي في الوجود.

عشرات الأيدي كانت تتحسس عقلي من الداخل بنهم، وشهوة، وهمجية كأيدي مجموعة من أحقر المتحرشين وقعوا على ضحية عاجزة، فقرروا الفتك بها - لا أجد توصيفا آخر للأسف فهو يعبر عما عانيت دون زيادة أو نقصان - كما تخلل هذه العملية المهينة، أصوات أنين لا تنقطع.

الشعور قاتل، ومؤلم، وهم يعتصرون خلايا عقلي بكل قسوة..

عشرات..

مئات..

بل آلاف..

لن أبالغ لو قلت ملايين الأيدي النهممة تدنس عقلي، مع مشاعر أعتى وأكثر اشمئزا مما يحدث لتدنيس الجسد..

كل ذكرى عاصرتها في حياتي السابقة تمر أمام عيني..

كل ألم ووجع نفسي يتكرر وأعيشه من جديد.

كل جثة، وكل مسخ، وكل شيطان واجهته، وكل فعل سيئ قمت به يتجسد

أمامي..

لن تكون شعاع واحد ..

بل أشعة قاتلة..

قلتها وأنا أغرق في النعاس، وأبتسم للمزحة..

وفي فراغ الخيمة دوت الضحكة الباردة الماجنة..

ولا أعرف لماذا رأيتها هذه المرة طريفة!!

بل ومناسبة للموقف تماما.

أين أنت يا شعاع لتنقذيني من تلك المشؤومة الزرقاء ووحشها المخيف؟!

أين أنت لتخرجيني من هذا الفخ القاتل؟

لا يمكن أن أموت بمثل هذه الطريقة البشعة، ولا يمكن أن أتخلي عن شعاع
من أجل ساحرة خبيثة..

- "أين أنت يا شعاع.. أين أنت؟".

هل تعلمون لمن تلك الضحكة الباردة الماجنة التي تدوي في عقلي الآن؟!!!
نعم.. له هو..

وعندما برزت تلك الأنياب من كومة القيح والعفن والصديد.. أدركت أن
العفريت قد ظفري ...
وهذه المرة لم تكن ضحكة ماجنة واحدة كريهة..
بل ضحكات عديدة..
ظلت تدوي في عقلي..
حتى غمرني القيح والعفن والصديد..
وقبل أن يتلاشى وعيي ويبدأ عهد الألم..
ظهرت في عقلي صورة نواره، فصرخت بآخر رمق في كياني:
- ”إني أحبك يا نواره ..
سامحيني..“.

يرنو إلى الوادي
فيبصر قبره
يرنو إليه

قصيدة غريبان: للشاعر محمود درويش.

في حضرة العفريت

والآن حان دوري..

صوت نواره يقطع أفكارى:

- "لا تشتت نفسك يا يزيد.. ركز على تحريري.. الزمن والمسافة هنا نسبيا".

عقلي يحاول استيعاب حديثها..

الزمن والمسافة نسبيا..

عقلي يصفوا تدريجيا، بعد أن زالت كافة قيودي العقلية.. فأصرخ:

"بل كل شيء في الحياة نسبي يا نواره.. لقد فهمت كل شيء وأدركت كنه

التحول.. لا تخافي شيئا ما دمت بجوارك".

أقولها، وقد أدركت أنني لا يجب أن أرهق نفسي في التفكير، بل علي أن أنتقل

لمرحلة الفعل..

ليس علي أن أخوض في الظلام..

ولا أن أقاتل في سبيل الوصول إليها..

كل ما علي فقط أن أقنع عقلي أنه يحدث..

تقاطع نواره أفكارى من جديد:

- "الآن يا يزيد.. الآن وإلا ضاع كل شيء".

وهنا صرخت بكل قوتي، وأنا أشعر بالظلام، والقوى الشريرة تحيط بي وبنواره

وتكاد تبتلعنا:

- "إلا نواره أيها الوغد".

وكأنما خرج من أعماقي إعصار خفي من الطاقة، أطاح بالظلام، والقوى

الشريرة، وبقیود نواره..

لأجدها في اللحظة التالية بين ذراعي وهي تصرخ:
- "الثغرة يا يزيد".

لم أفكر لحظة، بل صرخت بكل قوة:
- "معا يا نواره.. معا إلى الأبد".

وهنا تألق ضوء ساطع بقلب الظلام..
وشعرت بجسدي يتفكك.. وخلاياه تتبعثر..

كنا ننطلق عبر نفق عجيب لم أره في انتقالنا السابق، ومن النفق كانت هناك
عشرات الأيدي تحاول اقتناصنا..

المنظر من حولنا مربع بشكل لا يمكن تصوره.

نواره تخبرني أن كل شيء مختلف لأننا نغادر أمعاء كائن حي، أو كوكب حي
أجاد العبث بعقولنا، وبذكرياتنا..

وعندما هممت بسؤالها عن حقيقة كونها ساحرة من عدمه، عاد الظلام
ليغلفنا..

ثم عاد الوهج الساطع ليعميننا..

وكان ما شاهدته عند تجسدي أكثر شيء مربع في الوجود..

كان النهاية الأكثر بشاعة لرحلتنا..

نهاية تستحق ضحكة باردة من العفريت..

ولكنها للأسف كانت أكثر اشتعالا.

-خاتمة-

لم نتجسد هذه المرة تحت قبة حيوية عازلة تموج بالمسوخ، ولا في كوكب حي
كاد يفتك بنا ويجعلنا جزءا من كينونته..

بل تجسدنا في الجحيم ذاته..

كوكب مشتعل، كل مخلوقاته من نيران ملتهبة، وكنا نسقط نحوه من السماء
بسرعة رهيبية، ولم يكن يفصلنا عن الاحتراق في محيطه الملهب سوى بضع ثوان.
نواردة تصرخ:

- "اللعنة يا يزيد.. مازلت تنجذب لكل شيء شرير في الكون.. عد بنا إلى الشجرة
مجددا".

لم أكن أحتاج لهاتفها ولا صراخها، فما أن رصد عقلي المشهد المرعب بالأسفل،
حتى تذكرت نار جهنم، وما وعد الله به الخاطئين، لأكتشف أنه مازال هناك في
هذا الكون، ما هو قادر على إثارة ذعري وهلعي..

بالطبع لم يكن هناك وقت لرفاهية التفكير أو التعاطي مع المعتقدات، لذلك،
وبكل ما استطعت استخدمته من قدراتي التي أصبحت أجهل عنها كل شيء، والتي
شحذها وجودي على ذلك الكوكب المشؤوم الحي، وقمت بإعادتنا إلى الشجرة..

وهذه المرة ألقينا الشجرة إلى عالم آخر ...

عالم مختلف..

عالم وصل فيه البشر إلى درجة لا يمكن تخيلها من التقدم..

فقط شيء واحد هو الذي كاد يجبرنا على مغادرة الكوكب فور تجسّدنا على

أرضه ..

شيء أعرفه جيداً..

شاهد قبر من معدن لامع لا يصدأ..

نقش عليه بالليزر وبخط شديد الأناقة ..

في ذكرى الخالدين

(نوّارة - يزيد)

04/12/9852 م

احترقاً ليحيّا العالم

ولكن هذه قصة أخرى.

تمت بحمد الله.